مجلة البيان – العدد 40 ، ذو الحجة 1411هـ / يونيو 1991م

الافتتاحية

... ولا هم يذَّكَّرون

في مـسـاء يـوم الجمعة 14 أيار (مايو) من عام 1948 وقف الصهيوني بن غورين ليقرأ بيان الاستقلال وقيام دولـة إسـرائيل على أرض فلسطين ، وكانت البداية مؤتمراً عقد في مدينة (بـازل) في سـويـسرا الذي كتب عنه هرتزل في مذكراته »لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة - وهذا ما لن أفعله - لقلت : في بازل أسست الدولة الصهيونية ، ولو أعلنت الـيـوم ذلك لـقـابـلـنـي الـعـالـم بالـسـخرية و التهكم، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحـتـمـال ، وبـعـد خمـسـين سـنـة على وجـه الـتـأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس«

وما بين هذا التخطيط وقيام الدولة كانت هناك مؤامرات وأساليب ماكرة ومساعدات قوية من الغرب ، قابلها من العرب و المسلمين حركات جهادية عفوية قليلة العدد والعدة ، أو لـجـوء إلـى مـنـطـق الضعفاء: الشكوى والشجب ، وتصديق ما يقوله الغرب ويكثر فيه من الوعود وإرسال اللجان للتحقيق وطرح المشاريع التي لا يقصد منها إلا التسويف والخداع، حتى يتمكن الـعـدو ويـقــوى مـع الأيام . والعجيب أن الغرب وإسرائيل استمرا على هذه السياسة ، والعرب أيضاً استمروا على سياستهم ، فقد قاتل العرب مع الإنكيلز ضد الدولة العثمانية في الحرب الـعـالمية الأولى طمعاً في أن تتكرم عليهم بريطانيا بدولة عربية ، ولكن بـريـطـانـيـا كانـت في واد آخر ، كانت تخطط مع فرنسا لابتلاع البلاد العربية، وفي هذه الفترة أعطت اليهود هدية ثمينة وهي (وعد بلفور) لمساعدتهم على إنشاء وطن قومي ، وفي عام 1921 زار وزير مستعمراتهم (تشرشل)، مصر فقدم له عرب فلسطين شكوى عن اليهود وتـصـرفـاتـهـم !! و اسـتـمرت هذه السياسة إلى الآن. وفي عام 1946 جاءت لجنة لتقصي الحقائق في فلسطين ، وأوصت ببقاء الانتداب البريطاني ، وفي عام 1947 جاءت لجنة من الأمـم المـتـحدة واقترحت تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية ، واعتبار القدس وبيت لحم مـنطـقـة دولـيـة ، واستمرت اللجان والمشاريع المطروحة من التقسيم إلى مشروع (روجرز) ، إلى (شولتز) و(بيكر).

وفي عام 1937 عندما أنـشـب عـبـد الـقـادر الحسيني القتال مع اليهود ، أرادت بريطانيا الالتفاف حول هذه الـحـركـة، فاقـتـرح أحد ساستهم (مكمايكل): »أن يدخل المسرح حكام الـبـلاد الـعـربــيـة الـمجـاورة الأكثر ميلاً للتعاون ، كما اقترح إجراء مفاوضات مع رؤساء بلديات العرب«.

ومـا يـجــري الآن وفي السـيـعـيـنـات هو عين ما جرى سابقاً ، العرب يفرحون في كل مرة انتظاراً للوعود ، وسياسة إسـرائـيــل والـغــرب من ورائها لم تتغير ؛ ففي عام 1978 قاد موشى ديان وزير خارجية إسرائيل أمريكا: »كي لا تكون القدس عاصمتنا لا يكتفي بقرار مجلس الأمن ، بل عليهم كتابة التوراة من جديد ، وتغيير أحداث آلاف السنين«(1).

واليوم يقول (شامير) الكلام نفسه ، وسياسة أمريكا تقوم على ثوابت لم تتغير وهي : رفض إقامة دولة فلسطينية ، رفض أي تغيير في الضفة الغربية لا ينسجم مع سياسة إسرائيل ، رفض أي وفد فلسطيني مستقل لمباحثات السلام التي يعدون بها.

لقد قدمت أمريكا أثناء حرب الخليج الوعود ذاتها لحل ما يسمى بـ (الصراع العربي-الإسرائيلي) وبدأت زيارات (بيكر للمنطقة) وبدأت الآمال تتبخر يوماً بعد يوم ، وحتى لو كانوا صادقين ، فإن هذه الجولات و الـمـباحثات ستستمر سنين ، فكيف ونحن نعلم أنهم غير صادقين ، وفي مقابلة تلفزيونية مع (وليم كوليي) ، رئيس المخابرات الأمريكية السابق قال بمناسبة زيارة بيكر الثالثة : »إن ما ندعــــوه بمبادرات السلام لا يستهدف حل النزاع العربي الإسرائيلي فهذا نزاع لا يمكن حله الآن، وإنـمـــــا الهــدف الاســتـمـرار في عملية السلام.. «(2).

وما زيارة وزيـــر خارجية الاتحاد السوفياتي للمنطقة إلا تأكيداً لتضامنها مع أمريكا ، فقد صرح هـــذا الوزير في الأردن أن سياسة الاستيطان اليهودية تنسف جهود السلام ، ولكنه عندما زار إسرائيل لم يتفوه بكلمة حول هذا الموضوع.

ومـوقـفــــه هذا يذكرنا بتنسيق روسيا مع أمريكا عشية حرب حزيران 1967 عندما أبلغت روسيا بواسطة سفيرها في القاهرة ، أبلغت مصر بألا تكون البادئة في الحرب مع إسرائيل، ويالها من نصيحة ثمينة.

فإذا كان الموقــف الأمريكي لم يتغير ، و(شامير يعمل بالفكر التوراتي ولا يريد أن يقدم في آخر حياته تنازلات - بزعمه - للعرب ، فلماذا هذا الركض وراء (السلام)؟

الحقيقة أن هــؤلاء اللاهثين وراء الصلح هم فاشلون في الحرب وفاشلون في السلم ، وبما أن أمرهم ليس بأيديهم ، فلم يبق أمامهم سوى هذه المسرحية السخيفة.

الهوامش :

1- مذكرات دايان : أيبقى السيف يحكم؟ /131

2- جريدة القدس العربي 18/5/1991 .

بعضَ عنائك يا شيخ

عبد القادر حامد

لِمَ كـل هذه الحملــة المــرهقــة ، والمـعـانـاة الـنـاصبة التي يتكلفها الشيخ البوطي؟ لم هذا الحشد المنظم لهذه الأفكار المضطربة حول تيار لازال يشق طريقه بتصميم وعزيمة جادة في ثنايا الحياة الإسلامية ، وهذا التصميــم وهــذه الـعــزيمة تـنـاسـب الصعوبات المبثوثة في طـريـقـه، وعـلـى الرغم من هذه الصعوبات فإن المؤمنين بهذا التيار يعتقدون أن أمره جد، لأنـه ديـن ، وأنـهـم بـهـذا الاعـتـبـار ليسوا ثلة قليلة منعزلة ، ولا جماعة مشاغبة همها التفريق - كما يحاول الشيخ البوطي أن يـصـوره - بـل جـمـوع جـرارة مـتـعطشة إلى عودة الإسلام ليظلل حياة الناس من جديد.

إن المسلمين في كل البقاع ملوا من اللافتات التي ترفع باسم الإسلام هنا وهناك ، وضاقت صدورهم بالإسلام »الرسمي« الذي قيد بالقيود والسلاسل والأغلال ، الذي يقدم إليهم على أنه هو الإسلام الذي أنقذ به الله البشر ، وصموا آذانهم عما يلق عليهم من فتاوى هذا الإسلام »الحكومي« ، وفروا إلى تاريخهم وسير رجالهم لعلهم يجدون فيها شيئاً من السلوان عن هذا الظلام المخيم ، فهل وجدوا السلوى؟

نعم وجدوا.. فإن قراءة فكر ابن تيمية تكشف عن رجل كانت حياته وأفكاره تمثيلاً لقضايا المسلمين المصيرية ، وشرحاً عملياً ونظرياً لقوة ونصوع الإسلام ؛ وللعقبات والصعوبات التي تعترض سبيله لينتشر ويسود. بل وجدوا فيه أكثر من ذلك؟ وجدوا فيه رجلاً عاش عصره وتفاعل مع مشاكله تفاعل المعتز بدينه ، الواثق به ، على رغم كل المصاعب ، وتصدى لجبهات كثيرة ، فما طأطأ لها رأساً ، ولا لانت له قناة. هذه الجبهات التي قد يبدو التصدي لها لبعض الناس - ومنهم علماء - أمراً لا طائل تحته ، ولا ثمرة منه غير التعب الذي يجني على صاحبه ويسيء إليه. ولكن تصدي ابن تيمية لها بهذه الروح من أبرز بواعث الحياة في حقل الدعوة الإسلامية فيما بعد عصره إلى اليوم. وذلك لأن مقصود هذه الجبهات في حربها للإسلام واحد وهو تغييبه عن مسرح الحياة ، أو تحييده وتجميده على الأقل. بل إن ذلك هو أوضح دليل على وحدة المنهج الفكري والتطبيقي عند ابن تيمية ، فالسلبيات التي تعترض سبيل الإسلام يجب أن تبين أصولاً وفروعاً ، وأعداء الإسلام التاريخيون ينبغي أن يرشد المسلمون إلى أساليبهم ومواصفاتهم ، دون مواربة ولا مداهنة. والبدع التي طرأت على مسيرة المسلمين لابد من كشف جذورها ، ومصادر حياتها ، وأخطارها ، دون غمغمة ولا مجاملة.

صورة التيار السلفي عند البوطي :

يرى البوطي أتباع هذا التيار أنهم مجموعة تحاول اختلاق مذهب جديد والانغلاق عليه. وأنهم جماعة تريد تفريق كلمة المسلمين ، بل وتصد عن

الإسلام ، وأن كلمة »السلف« تضم الصالح والطالح ، ولم تعرف هذه الكلمة ، ولم يستخدمها المسلمون للدلالة على جماعة لها مواصفات معينة. »كيف ولو أنهم عبروا عن كينونتهم الجماعية ووحدتهم المذهبية بهذا الشعار إذن لدخل معهم في تلك الكينونة الجامعة سائر تلك الفرق الجانحة عن الحق الشاردة عن كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، إذ إنهم جميعاً (أي الفرق الجانحة عن الحق) مصبوغون بصبغة هذا الشعار ، سواء انتموا أم لم ينتموا إليه (هكذا بالإكراه !) ، بل إنهم السلف أنفسهم لا المذهب الذي ينتمي إليهم (يا ناس !) ، فهم بكل فئاتهم وأشتاتهم أصل هذا المذهب وجذوره ، دون أي تفريق بين مهتد وزائغ ، وبين صالح وطالح«(1).

ويـرى أن ظـهـور شـعـار »الـسـلـفـية« كـان في مـصـر إبـان الاحـتـلال البريطاني لها، وأيام ظـهـور حـركـة الإصـلاح الـديـنـي التي قادها وحمل لواءها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عـبـده، ثـم اسـتـحـلـى أتباع (المذهب الوهابي) هذا الشعار ؛ لما بين أتباعه وبين حركة الأفغاني ومحمد عبده من قاسم مشترك! وهو لا ينسى أن يعرض بدعوة محمد بن عبد الوهاب مدعياً »بأن ينبوع مذهبه - بكل ما يتضمنه من مزايا وخصائص - يقـف عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب« ، وهي عبارة ملتوية لو طولب البوطي بشرحها لدار وناور، ولكان له موقف منها حسب هوى من يكلمه فيها.

ويرى أن ضـيـق وتـبـرم أتـبـاع ابن عبد الوهاب بكلمة (الوهابية) جعلهم يستبدلون كلمة (الـسـلـفـيـة) بـهـا ، ليوحوا إلى الناس بأن أفكار هذا المذهب لا تقـف عند محمد بن عبد الوهاب ، بل ترقى إلى السلف ، وأنهم في تبيينهم لهذا المذهب ، أمناء على عقيدة السلف وأفكارهم ، ومنهجهم في فهم الإسلام وتطبيقه(2) . [236 من كتابه].

ويضع تعريفاً طريفاً للسلفي فيقول :

»والسلفي اليوم كل من تمسك بقائمة من الآراء الاجتهادية المعينة (!) دافع عنها ، وسفه الخارجين عليها ونسبهم إلى الابتداع، سواء منها ما يتعلق بالأمور الاعتقادية، أو الأحكام الفقهية والسلوكية«(3) [ص237].

ويقول أيضاً في كلام كأنما يصف نفسه : »فكل من حصر الحق في الرأي الذي انتهى إليه، وعد صاحب الرأي الثاني مـبـتـدعـاً أو زائغاً ، على الرغم مما وضحناه من أن كلا الرأيين ثـابـتـان في حـقـل الـمـنـهـج المتفق عليه، فهو المبتدع حقاً(4)، وهو المفرق لجماعة المسلمين، والمتسبب لإثارة البغضاء فيما بينهم دون أي مـوجـب أو عـذر ، وهـو المـتـنـكـب عن إجماع المسلمين.. « ، [ص 238].

ويرى أن (السلـفـية) مــذهـب جديد مخترع في الدين ، وهو مجموعة آراء اجتهادية في الأفكار الاعتقادية والأحكــام الـسـلـوكـيـة ، انتقيت من مجموع آراء اجتهادية كثيرة مختلفة، قال بها كثير من علماء الـسـلـف وخيرة أهل

السنة الجماعة ، لكن على غير أساس علمي ، بل »اعتمادا على ما اقتضته أمزجتهم وميولاتهم الخاصة بهم«(5) ، بل ويختم هذه التخرصات بالإعـــلان أن هــذه البدعة لا سابقة لها في أي عهد من عهود السلف أو الخلف ، و»من أشنع« مظاهر البدع الدخيلة على الدين« بل ويقسم بحياته أنه لا يعرف للبدعة معنى غير ابتداع لفظة السلفية فيرفع عقيرته قائلاً : »ولعمري ، لئن لم يكن هذا كله ابتداعاً في الدين ، فما هو المعنى المتبقي للبدعة إذن ، وفي أي مثال أو مظهر يبرز ويتجسد؟!« [كتابه ص 242]

وقد سقنا هذه العبارات والفقرات ليتضح لنا تصور الشيخ لهذه الكلمة التي أطارت النوم من جفونه وكلفته هذا العناء ، ولا نريد مناقشة ما جاء به من تعريفات وتأكيدات حتى لا يطول الكلام ، ولكن نكتفي بطرح النقاط التالية:

لا شك أن الشيخ على علم بالعبارة المأثورة عند أمثاله ممن يدرسون ويدرسون العقيدة على طريقة المتكلمين وهي:(مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أحكم)(6) ، ألا تعني هذه العبارة أن هناك شيئاً اسمه مذهب السلف ، وشيئاً اسمه مذهب الخلف؟

هـل الـشـيـخ مـتـأكـد أن الناس قبل هذا العصر لم يستخدموا كلمه السلف ليدلوا على تيار معين في المسلمين؟ وليضرب صفحاً عن آثار ابن تيمية وابن القيم وأتباع هذه المدرسة ؛ ألا يجد في كتب الحديث والتراجم شيئاً يدل على ذلك؟

أما نحن فنجد ذلك واضحاً كل الوضوح ، وأن التيار المتمسك بالكتاب والسنة وفهمهما كما فهمهما الصحابة والتابعون وتابعوهم (وهم خير القرون) تيار واضح القسمات في كتب العلم.

قال الخطابي : »هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث في الصفات كان مذهب السلف فيها: الإيمان بها وإجراءها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها«(7).

وجاء في الأعلام للزركلي ، 8/6 : »نبا بن محمد بن محفوظ القرشي ، المعروف بابن الحوراني ، الشيخ أبو البيان ، شيخ الطائفة البيانية ، من المتصوفة بدمشق ، قال ابن قاضي شهبة: كان عالماً عاملاً ، إماماً في اللغة ، شافعي المذهب ، سلفي العقيدة ، له تآليف ومجاميع وشعر كثير«.

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي عن الشيخ جمال الدين القاسمي : »كان سلفي العقيدة ، لا يقول بالتقليد«(8) ، فهل الشيخ الزحيلي مبتدع في استخدامه هذا المصطلح؟ وإذا كان كذلك فما هو المقابل لهذه الكلمة في وصف عقيدة الشيخ جمال الدين القاسمي يا ترى؟!

وقد غفل البوطي أو تغافل - في حمى حملته على خصومه - أن »السلفية« مصطلح يختلف معناه الاصطلاحي بين قوم وقوم ، فأعداء الإسلام عرباً وعجماً ، على اختلاف مشاربهم وتعدد نظرياتهم؟ يطلقونه على كل من

يتمسك بدينه ولا يتنازل عن عقيدته ، ولا يتخلى عن الأصول التي لا يجوز التخلي عنها بحجة أنها قديمة ، فالشيخ البوطي عند هؤلاء سلفي ؛ لأنه يعتقد أن في الإسلام واتباع منهجه نجاة البشرية وهدايتها ، ولا يفرقون بين مسلم ومسلم ، سواء في جزيرة العرب أو بلاد الشام أو شمال إفريقيا أو شبه القارة الهندية أو في أوروبا وأمريكا..إذا كان هؤلاء المسلمون يعتزون بدينهم ويرونه منهجاً كاملاً شاملاً يحكم الحياة ويصلح دنيا البشر وآخرتهم.

والبوطي والمتصوفة وكثير من المشايخ المتأثرين بالمدارس ذات المناهج التي كانت سائدة في عهد المماليك ، ثم عهد الدولة العثمانية يحصرون هذا المصطلح بأتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن تأثر بها ، وبأفكار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

أما »السلفيون« أنفسهم الذين كرّس البوطي جهاده ضدهم ، فلا يرون أنهم يخترعون ويبتدعون مذهباً جديداً ، وإنما يقولون : إن هناك تياراً لازال موجوداً منذ عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى عصرنا هذا ، يعتمد جعل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة المنهج الذي يجمع المسلمين كافة ، وهذا المنهج كان واضحاً كل الوضوح في عصر الصحابة والتابعين ، وهو المنهج الذي سار عليه أكابر علماء الأمة فيما بعد ذلك ، وقد عكر على هذا المنهج مؤثرات غريبة عنه تسللت بأسباب وأساليب شتى ، وما زال الأمر كذلك ، حتى ظهور مدرسة ابن تيمية وتلاميذه التي أحدثت هزة عنيفة في ذلك الوقت ، وعلى الرغم من وقوف الحكومات وعلماء السلطة في وجه هذه المدرسة وعملهم المستميت في كبت صوتها ، إلا إن القوة التي تميز بها هذا الصوت لم تتلاش ولم تندثر ، بل بقي الصدى يتردد هنا وهناك ، ولا نرى حاجة في تفصيل أسباب ذلك وآثاره هنا ، بل نقول : إننا نرى الجهود التي تصدت لمنهج ابن تيمية في السابق هي هي الجهود التي تحتشد لاجتثاث هذا المنهج من حياة المسلمين ، ولكن هل يمكن ذلك؟ هذا سؤال متروك لأصحاب هذه الحملة ليجيبوا عليه بالقول الصريح ، أو بالفعل المقنع.

وأتباع هذا المنهج لا يدعون العصمة ، كما أنه إذا بدا في سلوك بعضهم ما يغضب غيرهم؛ فماذا في ذلك؟ إن من طبيعة النفس البشرية أن يضيق صدرها بما يخالف ما هي عليه ، والإنسان عدو ما يجهل ، وكذلك فإن الخطأ والظلم من هؤلاء ممكن ومتصور؟ أليسوا بشراً؟ وقد قال الله عز وجل : ((إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)) [الأحزاب 72].

وإنه »ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالاً ظاهرها الفساد. وهي التي يحفظها من ينفر منهم ، ويشنع بها عليهم ، وإن كان أكثرهم ينكرها ويدفعها« (9) . وهذا ما فعله الشيخ البوطي عندما استضافته »رابطة العالم الإسلامي« عام 1406 هـ ، فتشاكى هو وكثير من ضيوف الرابطة الذين جاءوا

من أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقيا ، تشاكوا بمرارة وأسى مشكلة وحيدة هي الخلافات والخصومات الطاحنة(!) التي تثيرها بينهم جماعة السلفية(10)! هذا ولعله من رحمة الله بالمسلمين ، ومن فضله وستره على السلفيين؛ أننا منذ ذلك التاريخ المشار إليه - وهو تاريخ حضور الشيخ البوطي لذلك الموسم الثقافي الذي دعت إليه »رابطة العالم الإسلامي« - لم نسمع بعدها عن شيء مما أشار إليه الشيخ والشاكون إليه ، فها نحن منذ عام 1405هـ وإلى الآن - قرب نهاية عام 1411هـ - نعيش في بلد أوربي فيه عدد لا بأس به من المسلمين من مختلف الأصقاع والمشارب ، لم نسمع عن شيء من هذه »الخلافات والخصومات الطاحنة« التي يتقلب البوطي منها على مثل جمر الغضا..! وهل على أحد لوم إذا ما ذكرته هذه العبارة »الطاحنة« بأبيات زهير التي يصف فيها الحرب من معلقته :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرَجَّمِ
متــى تـبـعثوها تبعثوها ذميمةً وتَضرَ إذا ضرَّيـتـمـوهـا فَتَضْرَمِ
فَتَعرُكُكُم عَــرْكَ الرحى بثِّفالها وتَلْـقَـحْ كَشافاً ثم تُنْتَجْ فـتُتْئِمِ

وقبل أن نضع القلم نحب أن نتوجه بكلمتين إلى شيخنا البوطي.

الكلمة الأولى :

في الناس من يقرأ لابن تيمية ولغيره ، وفيهم من له عقل يستطيع أن يميز بين السقيم والسمين ، وبين النافع والضار ، وهذه كتب العلم لم تزل مبذولة تشهد على كاتبيها ، وقد أصبحت منتشرة أكثر والوصول إليها أسهل بحمد الله ؛ فمن يا ترى من العلماء يرشح لنا الشيخ البوطي حتى نتخذ منه نافذة نطل بها على تراثنا الإسلامي العظيم نقلاً وعقلاً وفهماً واستنباطاً ، ومن كتب في مناحٍ المسلمُ أحوج ما يكون إليها في هذا العصر الهائج المائج؟
سيقول الشيخ : وهل تدعون أن أحداً من العلماء أحاط بكل ما يحتاجه المسلمون ، وأجاب عن كل تساؤل يعرض لهم؟ إذا كنتم تدعون ذلك فقد أبعدتم النجعة ، وبالغتم مبالغة مذمومة ، وبلغتم بابن تيمية أو غيره ممن تتعصبون له درجة لا تطاق ولا تقرون عليها! إن هذا العلم قدر مشترك لكل علماء المسلمين ، وكل منهم ساهم في هذا البناء المتماسك.
فنقول: نعم ، لا ندعي لأحد الإحاطة ، ولا نغمط أحداً حقه ولا نبخسه ما وهبه الله ، يأبى علينا الإنصاف ذلك ، ولكننا - مع اعترافنا لكل ذي حق بحقه - ننظر إلى ما هو موجود ، وإلى نفعه للمسلمين من الجانب العملي ، وإلى مردوده على ما نتطلع إليه من الانتقال بحالهم من التراجع والضعف ؛ إلى النظر إلى المستقبل بثقة وثبات ، وإلى تحويل إمكاناتهم من قوة كامنة إلى قوة دافعة ، أي كتب تقترحها علينا نطل من خلالها على الإسلام الصافي بقوة حججه ، وسمو أخلاقه ، ووضوح أفكاره ، وحرارة الإيمان ، وفاعلية العقيدة فيه : الفتوحات المكية أم اقتضاء الصراط المستقيم؟!

فصوص الحكم أم منهاج السنة النبوية؟!
اليواقيت والجواهر أم الصارم المسلول؟!
إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء! أم السياسة الشرعية؟!
الكبريت الأحمر وشرح وصية المتبولي أم درء تعارض العقل والنقل (11)؟

الكلمة الثانية :

هناك مجال ما أجداه على الدعوة الإسلامية لو اقتحمه الشيخ البوطي ، فبدلاً من اقتصاره على الحديث ناقداً ومشنعاً على إخوانه أتباع الكتاب والسنة ، وشنه هذه الحملات المتكررة عليهم في داخل بلده وخارجه ؛ حبذا لو خرج من هذه الدائرة المغلقة والتفت إلى تربية الدعاة والاهتمام بنشر العلم الشرعي الذي استؤصلت معالمه بشكل مقصود وأساليب ملتوية مفضوحة ، إلا بقايا من الجهود الفردية التي لا تفي بالحاجة ولا تقوى على التحديات المحيطة ، وإن في إمكانات الشيخ البوطي - »التي لا نحب أن نرتاب فيها« - البركة، فهو في حال - من البحبوحة الكلامية ، وحرية التحرك - يغبطه عليها الكثير، وله قدم صدق عند أصحاب الحل والعقد ، فلم لا يستثمر هذه الفرصة بما يعود على الإسلام والمسلمين بالخير ، وينشِّط »الصحوة الإسلامية« التي نوه بها بقوله مرة : »إن معين الصحوة الإسلامية من الشام ، وهي من الشام تنتشر ، وسرها في الشام ، وقد كان ذلك فيما مضى ، واليوم ، وسيبقى بعد اليوم«(12) . بشره الله بالخير ، ولو أزال الشيخ الغموض الكامن في عبارة »وسرها في الشام« لأجاد وأفاد ، ووفى بالمراد ، ولشكر له المنتظرون سماع هذه التطمينات شكراً لا مزيد عليه. وكذلك قوله الآتي في كلمته تلك فيه غموض يحتاج إلى تفصيل وشرح ، ولا يقدر على ذلك سواه - حفظه الله - فهلا فعل؟! يقول :

»إن المكائد تضاعفت ليس من أفراد فقط أو جماعات؟ بل من حكومات تعادي الإسلام ... وإذا كانت الشام منبع أعداء الإسلام فلتنهض الشام نهضتها ، ولينهض الشعب متعاوناً مع رئيسه«(13). كيف يكون معين الصحوة في الشام ؛ ومنبع أعداء الإسلام من الشام؟! ومن الأفراد ، ومن الجماعات ، ومن الحكومات التي تعادي الإسلام؟ ولم لا تضع دليلاً يستخدمه أهل الشام لاكتشاف هؤلاء الأفراد ، والجماعات ، والحكومات؟! كل ذلك يحتاج إلى تجلية وبيان من أجل النشء الذي وقفت جهودك لتوعيته ، لتستبين سبيل المجرمين. فضع إصبعك على الجروح الناغرة يا شيخ ، ولا تخف ، وخذِّل عن المسلمين، ولا يكن همك كهمِّ المتنبي فقط ؛ ضيعة أو ولاية(14) ، فما أنت فيه خير من الضيعة أو الولاية ، وكن على ذكر من كلمة إبراهيم بن أدهم أو غيره : »لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه

بالسيوف«. واعتبر بأصحاب الضيعات حـوالـيـــك - ضـبـــاع تتهارش على الجيف في العاجلة ، وتذهب - مخلفة روائح الجيف ورائها - إلى الآجلة.

انتهى

الهوامش :

1- خاتمة هذه العبارة تذكر بعبارة شمشون الجبار: »عليَّ وعلى أعدائي ياربَّ!«.

2- كلام خطير يبين دخيلة البوطي على حقيقتها وموقفه ممن لا يرون رأيه المــريـــض في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث يريد أن يقطع - بتفسيره المدخول - صـلـة هذه الدعوة بجذور العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ومع أن كلامه هذا ظاهر التهافت؛ وهـــو يحس بذلك؛ لذلك فقد قال في الكلمة التي وشح بها ظهر غلاف كتابه : »إنما أخرجـت هذا الكتاب لناشئة الأمة« ، ولكن من أين له أن يغطي الشمس غرباله؟!

3- ألا ينطبق هذا التعريف عليه؟!

4- مر قبل كلامه هذا أنه يعتبر السلفيين مبتدعين بلا ريب ، وأن الابتداع ثابت في اتخاذ كلمة (السلفية) هذه ، وعلى الرغم من قذفه وشتائمه المتكررة فإنه لم يستطيع أذ يثبت بكلمة موثقة أن السلفيين الذين يشهر بهم بأوصافه هذه يقولون بهذه الآراء واللوازم التي يتخايل بها.

5- »سبحانك هذا بهتان عظيم«.

6- نحن نستشهد بهذه العبارة على سبيل الإلزام ، لا اقتناعاً بفحواها ؛ بل نرى أن مذهب السلف أسلم وأحكم.

7- جلاء العينين ص 404 .

8- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب 2/235 .

9 - مجموع فتاوى ابن تيمية 17/362

10 - ليلاحظ القارئ الكريم أن هذا التشاكي لم يكن جماعياً بل كل واحد من الضيوف كان يشكو للشيخ البوطي على انفراد من هذه المحنة .

11 - الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ، كتابان لابن عربي.

واليواقيت والجواهر ، وإرشاد المغفلين ، والكبريت الأحمر ، ووصية المتبولي كتب للشعراني الصوفي. وهي كتب مشهورها كمجهولها في الضرر أو قلة النفع عند العقلاء.

12- صحيفة تشرين 18/4/1990.

13- صحيفة تشرين 18/4/1990.

14- إشارة إلى قوله في مدح كافور الإخشيدى :

إذا لم تَنط ببضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلُبُ

من أدب الأخوة

عبد الرحمن العقل

للأخوة أدب جمّ وخلق رفيع ارتـقـاه سـعيد بن العاص ، فقال : »إني لأكره أن يمر الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه«(1).

وللأخوة آداب تمنح الأخوة رونقاً وبهاءً وجمالاً..

فمن هذه الآداب :

1- الابتعاد عن الإطراء وترك المدح :

حـذر الـرسـول - صلى الله عـلـيه وسلم - مـن الإطـراء والمدح ، صيانة للأفراد من الغرور والإعجاب بالنفس ، وصيانة للعلاقات الأخويـة ، وحفـاظاً على المجتمع الإسلامي ، عن أبي موسى قال : سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- رجـلاً يثني على رجـل ويـطـريه في المدح فقال : »أهلكتم - أو قطعتم - ظهر الرجل«(2).

بـل إن مـن لوازم الأخوة ترك الثناء والمدح. قال عبد الرحمن بن مهدي : »إذا تأكد الإخـاء سقط الثناء«(3). وقال الحجيي لرجل : »حبي لك يمنع من الثناء عليك«(4).

2- الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية :

فاحتلافك مـع أخـيـك في الرأي لا يؤثر على مودته في قلبك ، ولك في الإمام أحمد قدوة ، يقول الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن الإمام اسحاق بن راهويه :

»لم يعبر الجسر إلى خـراسـان مـثـل إسـحـاق بن راهويه ، وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً«(5).

»إنه التمازج الروحي والأخوة الحقة بين المـؤمـنـيـن الـتـي يلتمس فيها المؤمن الحقيقة عند أخيه وإن كان له مخالفاً«(6).

3- فن الاستماع :

تظهر لأخيك تلذذك بحديثه ، ولا تصرف بصرك عنه ، ولا تقـاطـعـه في حديثه ، حتى ولو كنت تعلمه. يقول الإمام سفيان الثوري - رحمه الله تعالى - : (إن الـرجـل ليحدثني بالحديث قد سمعته قبل أن تلده أمه ، فيحملني حسن الأدب أن أسمعه«(7).

4- لا انتقام ولا تشفٍ :

موقف رائع بين القاضي سعيد بن سليمان المساحقي المالكي والقاضي ابن عمران الطلحي.. يصوره ابن الماجشون بقوله : »شهد سعيد بن سليمان عند ابن عمران الطلحي وهو قاض ، فرد شهادته ، فلما ولي سعيد شهد عنده ابن عمران ، فنظر سعيد في شهادته ففكر قليلاً ثم قال لكاتبه : أَجِزْ شهادته يا ابن دينار ، فإن المؤمن لا يشفي غيظه«(8).

5- ترك التكلف :

»حتى لا يشعر الأخ أنه غريب عن أخيه ، ولا يلجئه إلى الاعتذار دائماً ، بسـبـب هـفـوة صغيرة ، وكلمة عابرة ، ويحاسبه على النقير والقطمير ، وليتذكر قول الشاعر :

ولست بمستبـق أخــاً لا تلمـه على شعث، أي الرجال المهذب؟(9)

وكان جعفر بن محمد الصادق يقول : »أثقل إخواني علي : من يتكلف لي وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي«(10)

6 - الهدية :

الهدية.. سهم صائب يقع في القلوب مباشرة..

كم منقبض أثرت فيه الهدية ، وكم من تائه قربته الهدية ، وكم من حاقد ألفته الهدية، لها تأثير عجيب وعجيب. وكما قيل : الهدية هي السحر الظاهر.

*** تأثير الهدية :**

»قال سفيان : لما قعد أبو حنيفة ، قال للناس مُساور الوراق :

كنا من الدين قبل الـيوم في سعــة حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قــوم إذا اجتمعوا صاحـــوا كأنهم ثعالب ضبحت بين النواويس

قال : فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فبعث إليه بمال ، فقال مساور - حين قبض المال :-

إذا ما الناس يوماً قايسونا بـآبــدة مــن الفـتيا طريفة
أتـيناهم بمــقياس صحيح مصيب من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه بها وعاها وأثبتها بحبر في صحيفة(11)

وللهدية أثر واضح في تصفية القلوب من الأدغال والأحقاد ، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - »تهادوا تحابوا تذهب الشحناء«(12).

7- الدعاء بظهر الغيب :

لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : »دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا له بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل«(13)

* أبا حمدون لِمَ لم تسرج مصابيحك الليلة؟

عن عبد الله بن الخطيب : »أن الطيب بن إسماعيل أبا حمدون وهو أحد القراء المشهورين كانت له صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه ، وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم فنام ، فقيل له في نومه : يا أبا حمدون لِمَ لم تسرج مصابيحك الليلة؟ ، قال : فقعد فأسرج ، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ«(14).

وقال أحد الصالحين : »أين مثل الأخ الصالح؟ إن أهل الرجل إذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف ، والأخ الصالح ينفرد بالحزن ، مهتماً بما قدم أخوه عليه ، وما صار إليه يدعو له في ظلمة الليل ، ويستغفر له وهو تحت أطباق الثرى«(15).

8- لا تزيد الصلة ولا تنقص بالانقطاع :

والأخوة الصادقة ثابتة لا تتغير مع مضي الوقت فلا تزيد بالبر والصلة ، ولا تضعف أو تتلاشى بالانقطاع والجفاء.

يقول يحيى بن معاذ الرازي : »حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء«(16). وعدم رؤية الإخوان لبعضهم ، وانقطاعهم عن بعض لا يسوغ الهجر ولا اختلاف القلوب. عن اسحاق قال : »كان بين عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان مـــودة وإخاء فكانت تمر السنة عليهما لا يلتقيان ، فقيل لأحدهما في ذلك فقال : إذا تقاربت القلوب لم يضر تباعد الأجسام«(17).

وكذلك ما روي أن يونس بن عبيد »أصيب بمصيبة فقيل له: ابن عوف لم يـأتك؟ فقال: إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضره أن لا يأتينا«(18).

*** مودة مدخولة :**

فكل أخوة تزداد بالالتقاء وكثرة المجالسة فهي تحـتــاج إلى إعادة نظر ، يقول الحسن بن صالح : »كل مودة لا تزداد إلا بالالتقاء مدخولة«(19).

9- لا ترفع أخاك فوق منزلته :

ومـــــن أدب الأخـــــوة أن تضع أخاك في مكانه المناسب، حتى تصفو الأخوة وتدوم، قال الشافعي رحمه الله تعالى: »مـــا رفـعــت أحـــداً فوق منزلته إلا وضع مني بقدر ما رفعت منه«(20).

***ابن حزم يحذرك :**

يقول ابن حزم - رحمه الله تعالى - : »أبلغ في ذمــك من مدحك بما ليس فيك ، لأنه نبه على نقصك ، وأبلغ في مدحك مـــن ذمــك بـمــا ليس فيك ، لأنه نبه على فضلك ، ولقد انتصر لك من نفسه بذلك ، وباستهدافه إلى الإنكار واللائمة«(21).

10- بين الانقباض والانبساط :

فكن مع الناس بين المنقبض والمنبسط ، فلا تخض مع الخائضين ولا تنعزل مع المنعزلين، كما قال الشافعي : »الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، والانبساط إليهم مجلبه لقرنـــاء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط«(22) ، وكذلك الأخ مع إخوانه لا ينبسط معهم انبساطاً يذهب فيه الاحترام ويقل فيه الأدب ، ولا ينقبض عنهم انقباضاً يشعرون معه بالجفـــوة، ويحسون بحاجز يمنعهم من الاقتراب منه وتحقيق معاني الأخوة معه فهو بين بين..

11- الصبر واحتمال الأذى :

إن خلق الضجر، وعدم الصبر والتحمل بين الإخوان هو طريق للتفرق والاختلاف ، وطريق لزوال الإخاء والود.. ولهذا كان احتمال الأذى من أدب الأخوة.

*** بضاعة الصديقين وشعار الصالحين :**

»وأما احتمال الأذى فهو الصبر ولكنه أشق ، وهو بضاعة الصديقين ، وشعار الصالحين ، وحقيقة أن يؤذى المسلم في ذات الله سبحانه وتعالى فيصبر ويتحمل ، فلا يرد السيئة بغير الحسنة ، ولا ينتقم لذاته ، ولا يتأثر لشخصيته ؛ ما دام ذلك في سبيل الله ، ومؤدياً إلى مرضات الله ، ولم يبتل في طريقه إلى الوصول إلى الله..«(23)

12- مراعاة النفسيات :

النفس البشربة كالبحر ، تارة يكون هادئاً راكدـاً ، وتارة يكون هائجاً متلاطماً ، فوجب مراعاة هذه النفس ومعرفة تقلباتها وتحولاتها.. والنفوس تختلف باختلاف أصحابها فما يصلح لهذه لا يصلح للأخرى ، ولله در شبيب بن شيبة حينما قال : »لا تجالس أحداً بغير طريقه ، فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم ، واللاهي بالفقه ، والغي بالبيان آذيت جليسك« (24).

13- لا تكن جافاً :

فلا تكن جافاً في تعاملك الأخوي ولا بليداً لا يتحرك لك وجدان ، فإذا ما أخطأ عليك أخوك ، وجاء يستسمحك فلا تشمخ بأنفك ؛ لكي لا ينطبق عليك وصف الإمام الشافعي.. يقول الربيع : سمعت الشافعي يقول : »من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضي ولم يرض فهو حمار«(25).

14 - لا تكن ثقيلاً :

وهذا أدب ظرفي يضفي على الأخوة طابعاً جميلاً..
وحقيقته : خفة في النفس ولباقة في التعامل ومراعاة لظروف الإخوان ومشاعرهم ، فلا يكون ثقيلاً في زياراته وفي أفعاله وكلماته.

* المؤمن قد يكون ثقيلاً :

الثقل صفة لا علاقة لها بالإيمان وعدمه. »سئل جعفر بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بغيضاً؟ قال : لا يكون بغيضاً ، ولكن يكون ثقيلاً«(26).

* الثقلاء عند العلماء :

»قال الحسن البصري في قوله تعالى : ((فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا)) [الأحزاب 53] قال : »نزلت في الثقلاء«(27). وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله، قال: ((رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ))(28) [الدخان 12].
وقال ثقيل لمريض : ما تشتهي؟ قال : أشتهي ألا أراك. وإن كنت تصرّ على مخالفة هذا الأدب.. فاصبر على مخاطبة الشاعر:

أنــت يــا هـــذا ثـقـيـل   وثــــــقــــــيــــــل
أنـت في الـنـظـرة إنســان   وفي الميـدان فــيل (29)

15- عدم مواجهة الأخ بالعتاب :

وقـد عـقـد الإمـام البخاري في صحيحه باباً بعنوان : من لم يواجه الناس بالعتاب. وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : صنع الرسول -صلى الله عليه وسلم- شيئاً فرخص فيه فتنزّه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه

وسلم- ، فخطب ، فحمد الله ثم قال: »ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية«(30).
ورسولنا -صلى الله عليه وسلم- هو ألطف الناس وأحسنهم خلقاً، لم يفضحهم على رؤوس الخلائق ، بل عاتبهم وأنبهم من غير جرح لمشاعرهم وأحاسيسهم.
ولا يفهم من فعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- ترك العتاب ، بل يفهم : عدم المواجهة ، يقول ابن حجر - رحمه الله - : »أما المعاتبة فقد حصلت منه بلا ريب ، وإنما لم يميز الذي صدر منه،ستراً عليه، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية لا بترك العتاب أصلاً«(31).

الهوامش :

1- العقد الفريد2/429.
2- فتح الباري / 6060.
3 ، 4-آداب العشرة ص 52
5- تهذيب تاريخ ابن عساكر 2/414.
6- نفائس الحلة في التآخي والخلة ص 73 .
7- تاريخ دمشق 1/409
8 - ترتيب المدارك 1/295.
9- مجلة البيان العدد 23 ص 46 .
10- إحياء علوم الدين 2/188.
11- روضة العقلاء ص 243.
12- مالك في الموطأ ص 1642.
13- أخرجه مسلم (شرح مسلم 17/50) ، أحمد 5/195 ، ابن ماجه (2895).
14- تاريخ بغداد 9/163.
15- منهاج المسلم ص 112.
16- طبقات الشافعية 6/51.
17- الآداب الشرعية 3/565 .
18- روضة العقلاء ص 89 .
19- روضة العقلاء ص 116 .
20- حلية الأولياء 9/146 .
21- الأخلاق والسير ص 38
22- حلية الأولياء 9/122.
23- منهاج المسلم /139
24- آداب العشرة /47
25- حلية الأولياء 9/143.
26- بهجة المجالس 2/733.

27- بهجة المجالس 2/733.
28- المصدر السابق.
29- بهجة المجالس 2/734.
30- فتح الباري 10/172 حديث (6101).
31- فتح الباري 10/513.

خواطر في الدعوة

حسداً من عند أنفسهم

محمد العبدة

من الـشـبه التي يرددها أعداء الإسلام كثيراً ، بل قد تنقدح في نفس المسلـم أحياناً ، هي شبهة التفرق وشدة الخصام والجدال ، يقولون : إذا كان الإسلام هو الحق الـذي لا ريب فيه ، فلماذا هذا التشتت وهذه الكثرة من الفرق ، والمسلم الضعيف يقول : لماذا لا نجتمع ولو على أي شكل من الأشكال وندع هذا الخصام والأخذ والرد ونستريح من هذه المشاكل.

وللرد على هذه الشبه نقول : لابد أن يعلم المسلم أن الشيء الثمين والـتحفـة النادرة تغري بالحسد والعداوة ، فكيف إذا كان هذا الشيء سلعة معنوية ولـيسـت مادية؟ ، والإسلام في غاية الحسن والكمال ، فعندئذ تـنـبـعـث النفـوس التـي ملـئت بالحقد على الإيقاع به من الداخل ، والتلبيس على المسلمين ، ومحاولة الـتـحـريف والتبديل ، حتى لا يبقى جوهر الإسلام صافـياً .

لقد شَرِقَ اليهـود والـنـصارى والفرس بحمل العرب لهذا الدين ونشره في الآفاق ، وهيمنته على سائر الملل والنحل ، وهـو مـن الـوضـوح والقوة الداخلية فيه أن نوره يبهر الأبصار ، عندئذ كثرت سهامهم إليه وكثرت المؤامرات التي تريد اقتلاعه ، وجاس عبد الله بن سبأ وأتباعه خلال الديار ، وانتشرت الباطنية تتستر بالإسلام ، وتأثر بهم أصحاب الأهواء أو ضعاف العقول فكثرت الفرق ، وإذا كان الإســلام قـد أزاح عروشاً سياسية فإنه أزاح أيضاً رئاسات دينية من الكهنة والأحبار ، خدعوا الـشـعـوب وأكـلـوا أمـوال الـنـاس بالباطل ، وهؤلاء حقدهم أشد ، وعداوتهم أقوى ، كل هؤلاء قاموا بإثارة الشبهات فتلقـفـهـا ضعاف الإيمـان فـكـثـر الخلط ، وأما المسلمون الضعاف الذين لا يدفعون الشبهات بالإيمان الـقـوي والثقة بهذا الـديـن أو الـنـظـر إلـى مـواقع القدر الشرعي والكوني ؛ هؤلاء الذين يتمنون في داخل أنفسهم أن لو يجتمع المسلمون تحت اسـم (الإسـلام) ، ولـو كـان أحدهـم يحمل من البدع الكبيرة والصغيرة ما يصل إلى درجة الكفر ، هؤلاء نقول لهم كما قال أحد العلماء:

»إن الحق لا ينقلب باطلاً لاختلاف الناي فيه ، ولا الباطل يصير حقاً لاتفاق الناس عليه، وسلامة الإنسان عن الخطأ ليس بمطموع فيه ، ولكن الطمع في أن يكثر صوابه« ..

تراث

أوقفوا هذا العبث!

محمد عبد الله آل شكر

إن تراث كل أمة مـن الأمم هو ما يتناقله الخلف عن السلف ، من علوم ومعارف متنوعة، في الدين والفكر والأخلاق ، وفي سائر جوانب الحياة العلمية.

وكل أمة من الأمم التي تعنى بحضارتها؛ تعتز بتراثها، وتقف حياله وقفة إكبار وإجلال؛ فهو يربط حاضرها بماضيها بسلسلة من النسب العريق. ولذلك يحتل مكانته التي تليق به، وتسمو مكانة هذا التراث وتعظُم أكثر عندما يتصل بعقيدة الأمة وفكرها الـديـنـي ، ويقوم على الـوحـي الإلـهـي مـصـدراً وغـاية. وعندئذ يكون من حق هذا التراث على أبناء الأمة الغيورين، أن يحافظوا عليه، فيصدُّوا عنه غارات المغيرين ، وينفوا عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛ وأن يأخذوا على أيدي العابثين الذين يعملون فيه معاول الهدم والتخريب ، شعروا وقصدوا ذلك أو لم يشعروا أولم يقصدوا.

وقد كان ذلك؟ فهيأ الله تعالى لتراث أمتنا حراساً أمناء ، اعتنوا به عناية فائـقـة ، وقـامـوا بجهود كبيرة مشكورة ، يدفعهم إلى ذلك : إيمان بقدسية هذا التراث ، وغيرة على منهج الأسلاف.

ومـع الـنـهـضة المعاصرة والصحوة الإسلامية التي تفـتحـت عليها أعين الجيل ، اشـتـدت العناية بالتراث ، والذي يتابع حركة النشر ومـا تدفـعه المطابع ، يجد كمّاً كبيراً أو سيلاً من المطبوعات ، يدفـع إلـى إبـداء بـعـض الـملاحظات التي لا يخطئها النظر. أحببت أن أعرضها على قراء »البيان« لعلهم يرون فيها رأياً ، أو يصحـحـون فـيهـا خطأ ، أو يشاركون بجهد .

والذي آمـلـه مـن الإخـوة القراء وغيرهم : أن يكون مستقراً في الأذهان؟ أن هـذا لا يـعـنـي انتقاصاً - بأي حال من الأحـوال - لجـهـد طيب يبذله مؤمنون صادقون ، يعرفون للكلمة قدسيتها ، وللتراث قيمته ، فيعكفون على خـدمـتـه : دراسـة وإشاعة في الأمة ، في حلة زاهية وثوب قشيب ، بعد جهد ومعاناة ، يتعانق فيهما الشكل مع روعة المضمون.

كـمـا لا يعني إبداء هذه الملاحظات - أو النصائح - أن كاتبها يجعل من نفسه حكماً على غيره ، يقوِّم أعمالهم وجهدهم.

ولكنها ملاحظات على ظواهر نراها بارزة ، ونسعى للتخلص منها؛ تجويداً للعمل وتصويباً للطريقة.
ولست في هذا بمبتدع ، فقد سبق كثير من الباحثين والكتاب الأفاضل ، برصد بعض الظواهر وإبداء ملاحظاتهم ، ورفعوا عقيدتهم بصيحات مخلصة -إن شاء الله تعالى - تهدف إلى وقف الخطر على تراثنا.
تجد هذا في ما تقرؤه في كتاب »التعالم ، وأثره على الفكر والكتاب« لفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، وفي »أخطار على المراجع العلمية لتراث أئمة السلف« للشيخ عثمان عبد القادر الصافي ، وفي مقالات بمجلة »البيان« الغراء ، آخرها في العدد السادس والثلاثين. فعزز ذلك عندي إبداء هذه الملاحظات التي تتبعتها وسجلتها منذ سنوات ، ولعلها تكاملت في معظمها الآن ، فعلى بركة الله وتوفيقه نعرضها على الإخوة الكرام.
»التحقيق« : بذل عناية خاصة بالمخطوط لتقديمه صحيحاً كما وضعه مؤلفه. وتكاد كلمة المحققين والمعنيين بالتراث تُجمِع على أن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن يتناول البحث فيها: أولاً تحقيق عنوان الكتاب ، ثم تحقيق اسم المؤلف ، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه ، ومن بعد: تحقيق متن الكتاب (1) ، ولكن هذه القاعدة المسلّمة أو البديهة ، يضرب بها بعض المحققين عرض الحائط ، ويجعلونها تحت أقدامهم ، ودبر آذانهم ، فيبيحون لأنفسهم تغيير اسم الكتاب وعنوانه ، ويستبدلون به اسماً آخر موهماً ، مع أن الكتاب قد عرف منذ قرون واشتهر باسمه الصحيح ، فيأتي محقق مجتهد ومعلق بارع ، يجانبه الصواب ، ويجانب الأمانة العلمية والخلق الإسلامي ، فيعدو على تراث الأمة وحقوق العلماء ، فيعمل في مؤلفاتهم تشويهاً وتحريفاً.
والأمثلة على ذلك كثيرة تعزُّ على الحصر وهذه إشارة إلى بعضها:

*** للعلامة بدر الدين بن عبد الله الشبلي (توفي 769 هـ) كتاب أسماه :**

»آكام المرجان في أحكام الجان« وهو منذ سبعه قرون معروف بهذا الاسم بين العلماء وطلبة العلم ، وفي فهارس الكتب باسمه كاملاً ومختصراً. ومنذ سنوات ظهر في سوق الكتب كتاب بعنوان تجاري يستهوي الباحثين عن العجائب والغرائب في عصر العجائب الكثيرة التي نعيشها اليوم. هو »غرائب وعجائب الجان كما يصورها القرآن والسنة« ، تحقيق وتعليق إبراهيم الجمل ، (مكتب الخدمات الحديثة بجدة ، عام 1982م) ، وكأن القرآن الكريم أنزله الله تعالى ليكون كتاب عجائب وغرائب ، وكذلك وردت السنة النبوية!
والذي يتبادر للذهن أنه كتاب غير الكتاب الأول بكل تأكيد ، للمفارقة التامة بين العنوانين ، فالأول أحكام ، والثاني عجائب.. وهذا يدفع لاقتناء الكتاب ، وخاصة

لمن يتابع القراءة في مثل هذه الموضوعات أو يبحث فيها. ثم يفاجأ بأن الكتاب نفسه عنده بعنوان آخر.
ولن تحتاج إلى جهد كبير لتقف على معرفة الجاني الذي عدا على الكتاب بالمسخ وتغيير هويته ، فستطالعك مقدمة محقق الكتاب بكل صراحة ووضوح: ».. فغيَّرنا اسمه إلى: عجائب وغرائب..ليلائم روح العصر« . (أقول : لا عجب ، أليس الإسلام ملائماً وصالحاً لكل عصر؟) وهذا التعليل أَعْجَبَ ناشر الكتاب فقال مادحاً المحقق ، مزكياً عمله: »وقد أحسن المحقق (!) إذ عدَّل في عنوان الكتاب فجعله : غرائب وعجائب الجان.. حتى يعكس العنوان حقيقة المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف ، فيطمئن القارئ إلى أنه سيقرأ كتاباً مستمداً من نور القرآن الكريم والسنة المطهرة ، خالياً من الشعوذة والخرافات التي عمّ انتشارها عن الجن وأحوالها وعلاقتها بالناس«!!
ولست أدري - ولا أخال عاقلاً يدري - كيف يطمئن القارئ إلى ما يقرأ ، وكيف يثق بالنص أمامه وهو يجد الإقرار على التحريف والتزوير الذي سماه المحقق »تغييراً« ، وسماه الناشر »تعديلاً« ، كيف يطمئن لصحة النص وهو يجد ذلك منذ وقعت عينه على غلاف الكتاب ثم على الورقة الداخلية ، ويجد الإقرار ممهوراً بتوقيع الجاني وشهادة الناشر!
فهل يظن حضرة المحقق أو الناشر أن هذا التراث نهب لكل من أراد ، أو أنه مزرعة آلت إليه ملكيتها بالإرث من أحد آبائه ، وهو الوارث الوحيد ، فله الحق أن يفعل فيها ما يشاء دون رقيب أو حسيب؟ فماذا لو كان هناك وارث آخر وبدا له أن يغير العنوان مرة ثانية (لأنه شريك في التركة) بعد سنوات ليكون ملائماً »لروح العصر« أيضاً؟
ثم ما هذا التدليس والتغرير بالقراء بهذه العبارة : »كما يصورها القرآن والسنة« ، أهي متاجرة بالدعوة للعودة إلى المصادر الأولى: الكتاب والسنة ، بين جيل الصحوة الذي يجد في هذه الدعوة تحقيقاً لأمله؟
أما اطمئنان القارئ إلى أنه سيقرأ كتاباً معتمداً على الكتاب والسنة ، فيكفيه أن يكون الكتاب عنوانه »أحكام الجان« فإن الأحكام في الإسلام مستمدة من الكتاب والسنة والمصادر التبعية الأخرى ، بينما العجائب والغرائب التي حشرها المحقق ليست كذلك. فما كان جديراً بالمحقق ولا الناشر أن يتاجرا بهذا الكلام ويطمسا الحقيقة. وأي شعوذة أو خرافة أكثر من هذا العمل في علاقتها بهذا الكتاب!
* وليس هذا الكتاب الوحيد الذي يتلاعب »الأستاذ الجمل« به ، فيبدو أنه استمرأ العملية هذه واستملحها ، وساعده على ذلك ناشرون آخرون ، فإن ابن غانم المقدسي له كتاب اسمه : »مجموع منتخب في مصايد الشيطان ، وذم الهوى« فسطا عليه المحقق وعبث فيه، فجعل عنوانه : »مصائد الشيطان

وذم الهوى ، مختصر إغاثة اللهفان لابن القيم» لابن غانم المقدسي (مكتبة القرآن ، القاهرة ، 1982 م) .
وبالتأكيد لم يكن هذا سهواً أو جهلاً بحقيقة اسم الكتاب ، بل كان عن عمد وقصد ، والشهادة على هذا بالزنكوغراف في الكتاب وفي صورة الصفحة الأولى من المخطوط ، والعنوان واضح فيها وضوح الشمس في رابعة النهار!
*** للحارث بن أسد المحاسبي كتاب اسمه »العقل ، وفهم القرآن«** وقد نشره في بيروت الدكتور حسين القوتلي ، (دار الكندي 1402 هـ) ولكن محقَّقاً آخر هو- الأستاذ أحمد عطا ، نشر الكتاب ثانية في القاهرة بعنوان : »المسائل في أعمال القلوب والجوارح والعقل« تضمن كثيرً من السهو والخطأ والاجتهادات الشخصية في تغيير النص.. ويستطيع القارئ اكتشاف ذلك كله بالمقارنة بين النشرتين للكتاب. (مقدمة القوتلي ص 7).
*** ثم ظهر كتاب آخر للإمام الآجري - رحمه الله - بعنوان :** »أخلاق أهل القرآن« محققاً في بيروت بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث (!) وعنوانه الصحيح الذي وضعه له المؤلف »آداب حملة القرآن« وحقَّقه تحقيقاً نفيساً وقدم له بدراسة قيمة فضيلة الدكتور عبد العزيز القارئ ، وجدير بالقارئ أن يقرأ ما كتبه الدكتور عبد العزيز في هذا المجال عن الكتاب وعن تحقيقه. وحسبنا هنا هذه الإشارة.
ومنذ زمنٍ وجدنا الشيخ محمد منير الدمشقي - رحمه الله - يرفع عقيرته بالشكوى من »العوام الذين يقرؤون ويكتبون وليسوا بعلماء ولا متعلمين ، وهؤلاء كثيرون جداً في جميع الممالك الإسلامية والبلاد العربية ، وهم أغلب باعة الكتب التي تروج بين غالب أهل الإسلام ، وهؤلاء أهل مادة فقط ، فكلما أرادوا نشر كتاب - كثر طلابه وتكرر استجلابه وقامت سوقه - تهافتوا عليه تهافت الفراش بدون نظر لنفعه أو ضرره ، وصحته أو سقمه، حتى إنهم ربما نسبوا الكتاب إلى غير مؤلفه أو غيروا اسمه ، وزيد عليه اسم آخر مخترع ، يرغب سامعه ويشوق شاهده ، وليس بغريب من أمثال هؤلاء العوام مثل ذلك ، بل الذي يعجب منه ويستهجن : إقرار العلماء على ذلك وإصرارهم على السكوت وعدم التعرض لذلك كتابة ونشراً ، ولو نبه العلماء على ذلك وبينوا أن هذا خيانة وتصرف فيما للغير بغير إذنه لا يجوز بحال ، لارتدع الناشر والطابع والمنفق ، ولما تجاسر أحد على أمثال ذلك ، وإذا لم يكن العلماء يحافظون على مثل هذا وينبهون عليه ، فمن المكلّف بذلك؟« (انظر كتابه : نموذج من الأعمال الخيرية ص 78).
وللحق لم يكن عمل هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ باسم التحقيق الذي يتبجح به الناس اليوم، وإنما كان الدافع لهم الحرص على التجارة الخاسرة أو الجهل والعامية ، فما بال محققي القرن العشرين اليوم؟! ثم إن أولئك عوام وهؤلاء متعلمون!

ثم يفْجَأ القارئ أو طالب العلم ، بعد ذلك ، عناوين جديدة لعلماء معروفين ، فيظنها كتباً جديدة تنشر للمرة الأولى، فيسارع إلى اقتنائها فيجد عجباً، إذ هي منتزعة من كتب أخرى أو مسلوخة منها سلخاً، طبعت في كتاب مستقل بعنوان جديد، فيقال مثلا: »خصائص يوم الجمعة« تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. هكذا: »تأليف«، بالـلـفـــظ الصريح دون الـكـنــايـــة أو التلميح. وعندئذ يقطع الناشر أو المحقق قول كل قائل، إذن فالكتاب بهذا الشكل والمضمون كتاب من تأليف فلان. ويمضي هذا التدليس دون أي إشارة إلى ذلك على غلاف الكتاب أو صفحة العنوان الداخلية ، وقد تجد شيئاً من هذا أحياناً في المقدمة على خجل واستحياء ، أو على خوف من اكتشاف التلاعب وبوار الكتاب. وقد لا تجد هذا ولا ذاك ، فتعرف الحقيقة بمجرد الاطلاع على الكتاب ومعرفة كتب المؤلف.
وهذا العمل فيه تدليس وتلبيس على القارئ ، ونسبة كتاب جديد لمؤلف لم يكتبه بهذا العنوان أو الشكل ، فكأنه ينسب لرجل ولداً جديداً لم يلده!
ونجد كثيراً من الأمثلة على هذه البدعة الجديدة، يتأكَّل فيها بعض »المحققين« و »الناشرين و»المـشــــرفين« بأسماء أعلام كبار كابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، والغزالي ، والرازي وغيرهم، ويـتـولـى كِـبْـرَ هذا العمل الخاطئ أصحاب مكتبات يستغلون أسماء لها مكانتها ووقعها في نفوس المسلمين، ويشوهون بذلك صورتهم الوضيئة في نفوس الناس، لارتباط هذا العبث باسمهم ، فتجد »مكتبة الصحابة« »مكتبة التراث الإسلامي«، »المكتبة القيمة«.. وانظر ما شئت من هذه الأسماء التي تزين أغلفة الكتب »المسلوخة« بأقلام »أبي فلان« و »أبي علان« (عفا الله عنهما).
وحتى لا يـظـن أحــــد أنني ألقي الكلام على عواهنه ، أسوق بعض الأمثلة لهذه التآليف المزعومة :
* »كتاب التوبة« تأليف ابـن قـيم الجوزية ، تحقيق صابر البطاوي مكتبة دار السنة ، الدار السلفية للنشر ، بالقاهرة الطبعة الأولى 1410هـ . وهو من كتاب »مدارج السالكين« المطبوع في ثلاثة أجزاء.
* »خصائص يوم الجمعة« تأليف ابن القيم ، المكتبة القيمة بالقاهرة وهو فصل من »زاد المعاد«.
* »حكم الإسلام في الغناء« لابن القيم. وعليه اسم : أبو حذيفة إبراهيم بن محمد (وهذه المرة ليس فيها كلمة تحقيق ولا جمع ولا إعداد) مكتبة الصحابة (رضوان الله عليهم) طنطا 1406 هـ . وهو فصل من كتاب »إغاثة اللهفان«.
* »معجم التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية« لابن القيم (أيضاً) مكتبة التراث الإسلامي لصاحبها عبد الله حجاج ، ويبدو من المقدمة أنه الذي فعل ذلك فقال بعد أن ذكر كتاب »الطب النبوي« : قال : ».. سلخت (ما شاء الله

على هذا السلخ !) منه هذه المفردات الطبية التي وردت على لسانه -صلى الله عليه وسلم-...« الخ.
* »السحر والكهانة والحسد« ، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، جمع وإعداد عبد الله حجاج - هو نفسه - مكتبة التراث الإسلامي. وهو مأخوذ من أبواب عدة من كتاب »فتح الباري شرح صحيح البخاري« لابن حجر العسقلاني -رحمه الله-.
* »الـمـسـيـح الدجال وأسرار الساعة« تأليف العلامة محمد السفاريني، مـكـتـبـة الـتـراث الإسلامي، الناشر عبد الله حجاج (شاطر يا حجاج).
وكلمة تأليف تعني أنه ألّف كتاباً بهذا الاسم ، وهذه هنا أكثر تدليساً. وهو مأخـــــوذ من الجزء الثاني من كتاب »لوامع الأنوار البهيَّه« للسفاريني ص 65 وما بعدها. ولم يُشر حضرة الناشر إلى ذلك.
وكذلك أخذت فصول ومباحث كثيرة من »إحياء علوم الدين« للغزالي ، و»التفسير الكبير« للفخر الرازي.. ونشرت بكتب مستقلة مثل »الموت وعذاب القبر« ، و»السحر وحقيقته..« الخ، حتى طال الأمر ، وعجزت عن تتبع ذلك كله ، مما ينبئ أن في الأمر خطورة وإلى الله المشتكى.
وليس هذا كل ما في الأمر، فإن هناك ملاحظات أخرى يضيق عنها المجال الآن،فلنرجئها إلى مقال آخر ، بإذن الله تعالى.

الهوامش:

1- راجع : تحقيق النصوص ونشرها، د. عبد السلام هارون ، قواعد تحقيق المخطوطات للدكتور المنجد ، محاضرات في تحقيق النصوص للدكتور أحمد الخراط.

اجتماع

علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية (1)

د. أحمد إبراهيم خضر

لماذا يعادي رجال الاجتماع في بلادنا الدين والصحوة الإسلامية وحركاتها؟

إن موقف علماء اجتماع الغرب المـعادي لـلدين بصفة عامة ، وللإسلام وللصحوة الإسلامية وحركاتها بصفة خاصة لا يحتاج إلى مزيد عناء للكشف عن أسبابه ودوافعه. أما أن يعادي رجال الاجتماع في بلادنا دينهم والصحوة الإسلامية في بلادهم ، فإن هذا الأمر يحتاج إلى وقفات.
أشاد رجال الاجتماع في بلادنا بما قام به أتـاتـورك فيما يسمونه بعـملية تخلـيص الشؤون الدنيوية من الدين بمنع التربية الدينية في المدارس ، واعتماد القانـون الأوربـي بعـد إلغاء الشريعة الإسلامية ، وتأميم الأوقاف ،

وتقليص قوة علماء الإسلام ، ومنع أي إشارة إلى الإسلام في الدستور(1) ، ورأوا في ذلك إنجازاً كبيراً رسم لهم طريقاً رائداً في تخريب النسيج الاجتماعي في عالمنا العربي(2).
وبينما استمر رجال الاجتماع في المشاركة في عملية تخريب النسيج الاجتماعي في بلادنا باغتتهم الصحوة الإسلامية وحركاتها التي عمت كل المجتمعات العربية بلا استثناء ، واستهدفت إعادة تركيب النسيج الاجتماعي بصورة مكثفة وفق المقياس الأوحد والمعترف به وهو الإسلام.
يقول علي الكنز أستاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر: (وفي هذا السياق نجد بأن الموقف يستهدف إعادة تركيب البنى الاجتماعية والسياسية في المجتمعات العربية وكذلك الذهنيات الجمعية والفردية وفق منظور محوري وهو الإسلام.. هذه الحركة الجديدة التي تخضع لها المجتمعات العربية دون استثناء تشكل في الأساس عملاً داخلياً مرتبطاً بهذه المجتمعات ، ومستهدفة إعادة تركيب نسيجها الاجتماعي بصورة مكثفة ، وفق المقياس الأوحد المعترف به وهو الإسلام. وتتسم هذه الحركة الجديدة في بنيتها وفي تطورها مع بعض الاختلافات الطفيفة بالمميزات الأساسية نفسها في مختلف المجتمعات العربية)(3)
وحينما أفاق رجال الاجتماع في بلادنا من صدمة مباغتة الصحوة الإسلامية لهم تساءلوا أين كانوا وقت حدوثها؟ لم يكن رجال الاجتماع على امتداد عالمنا العربي يتوقعون هذه الصحوة ، كانوا يعتقدون أن تجارب التنمية في هذا العالم وما يسمون بانتصاراته الوطنية قد شهدت ميلاد ثقافة جديدة خلفت الدين وراءها لتساير ما يسمونه بالتطور الاقتصادي والاجتماعي في كل بلد.
يقول علي الكنز متحسراً: (من كان يظن أيام ميثاق القاهرة بأن مصر الثمانينات سوف تواجه كمجتمع وكدولة تلك المسألة التي أصبحت محورية ، ألا وهي طبيعتها الإسلامية، وأن سيد قطب في مواجهته لعبد الناصر سيصبح يوماً ما شهيد الجماهير ، وأن حزب حسن البنا (الإخوان المسلمون) سيحظى يوماً ما في أوساط بعض الشبان الجزائريين بمعرفة تفوق معرفتهم لتاريخ جبهة التحرير الوطني).
ويستمر علي الكنز قائلاً: (والسؤال الذي يفرض نفسه علينا اليوم هو : أين كان الخيال السوسيولوجي من كل هذا في وقت عرف كبريات التجارب التنموية لآمال معقودة عليها مثل سلسلة الإصلاحات التي توالت في مختلف البلدان العربية ، وكذلك التأميمات الكبرى ، انطلاقاً من قناة السويس عام 1956 إلى المحروقات في الجزائر عام 1971 ، والانجازات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الهائلة ، مثل سد أسوان - ومركبات الحديد والصلب ، وكبريات الجامعات العلمية والتقنية؟)(4)

وعن عدم توقع رجال الاجتماع للصحوة الإسلامية يستطرد علي الكنز قائلاً : (نقول بأن هـذه الـظـاهـرة غـيـر مـتـوقـعـة ؛لأن الانـتـصـارات الوطنية التي شهدها الوطن العربي في الخمسينات ، وظهور حكومات وطنية كما كانت الحال في كل من سوريا والعراق والجزائر شهدت ميلاد ثقافة جديدة كانت مسايرة للتطور الاقتصادي والاجتماعي في كل بلد ، على الرغم مما عرفه كل بلد من نزاعات عديدة بين مختلف المجموعات المتصارعة، مثل الوطنيين والشيوعيين والليبراليين)(5)

كان رجال الاجتماع في بلادنا يتصورون أن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ومهام التنمية في عالمنا العربي قد قلصت من مكانة الدين ، وحولته إلى مسألة شخصية لكنهم فوجئوا ، بأن الدين يستعيد حيويته ويفرض هيمنته على جميع جوانب الحياة.

يقول علي الكنز معترفاً: (كنا نعتقد ببساطة أن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المعروفة وأن المهام المعقدة للتنمية سوف تقلص تدريجياً من مكانة الدين في الضمير الجمعي فيصبح في النهاية قضية شخصية بحتة تماماً مثلما حدث في مجتمعات أخرى ، وبخاصة الغرب الـبـرجـوازي ، غـيـر أنـنـا هـا نحن اليوم أمام هذا النموذج الكلياتي وهو يستعيد حيويته ويستهدف فرض هيمنته على جميع جوانب الحياة)(6)

اعـتـرف رجـال الاجـتـمـاع بـأن »الـقـومـية« و »الوطنية« ليستا بقادرتين على البقاء أو جذب الجماهير للالتفاف حولهما ؛ لأن الإسلام أصبح المكافئ الوظيفي لهما.

يقول سعد الدين إبراهيم أستاذ الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة :

(إن الإسلام الثوري للجيل الـحـالي من أبناء الطبقة الوسطى والصغيرة في الأمة العربية هو المـكـافـئ الـوظـيـفـي للـقـومـية العربية منذ جيل مضى ، كما أنه مكافئ للوطنية المناهضة للاستعمار منذ جيلين سبقا على الطريق)(7)

ويعترف سمير نعيم أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس بالقاهرة بذلك في مقالة شديدة العداء للجماعات الإسلامية في مصر فيقول : (شهدت مصر منذ تشرين الأول/أكتوبر 1972 ما يـمـكـن أن نـطـلـق عـليه تلازماً بين ما سموه بالصحوة الإسلامية والتنظيمات الإسلامية الـعـلـنـية والـسـريـة ، وبين غياب القضية العامة التي تلتف حولها الجماهير أو المشروع الحضاري أو التنموي) (8).

أسـقـطـت الـصـحـوة الإسلامية تلك العقلانية التي تعلق بها رجال الاجتماع لفهم الواقع الاجتماعي والسياسي بعد أن سقطت تلك الأحزاب والتنظيمات التي حملتها الواحد تلو الآخر ، بالرغم من سيرها وفق الخطوط التي رسمت

لها لتحل محلها التنظيمات الإسلامية التي اعتقد رجال الاجتماع أنها تنظيمات غريبة تجاوز التاريخ إلى الأبد.
يقول علي الكنز متحسراً: (من كان يظن بأن كبريات الأحزاب الوطنية المنجزة كقوى عقلانية لهذه التحولات العميقة لكل من الطبقة والمجتمع مثل حزب البعث في سوريا والعراق ، والاتحاد الاشتراكي في مصر ، والدستور في تونس ، وجبهة التحرير الوطني في الجزائر سوف يأتي يوم ينهار فيه الواحد تلو الآخر؟ وما هو ملفت للانتباه حقاً في هذا الشأن هو أنه لم يحل مكان هذه الأحزاب تنظيمات أخرى على يسار أو على يمين النهج المرسوم بالنسبة للكل ، وإنما تنظيمات غريبة وثقافة كان يعتقد آنذاك أن السير الموضوعي للتاريخ قد تجاوزها إلى الأبد)(9) .
جاءت الصحوة الإسلامية لتثبت لرجال الاجتماع أن هذه (العقلانية) التي علقوا عليها آمالهم لفهم الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي قد أصبحت عاجزة على الصعيدين النظري والمنهجي في فهم هذا الواقع ، ولتصيب هذا التفكير (العقلاني) بأزمة عميقة وخيبة أمل.
يقول علي الكنز معترفاً:
(إن اقتحام التفكير الديني للأيديولوجية العربية المعاصرة بهذه الشدة ليدل في الحقيقة على أزمة عميقة تمر بها مجتمعاتنا اليوم ، وهذا ما يراه كثير من المحللين ويعتمدونه في دراساتهم ، غير أن هذا الأمر قد يتعلق أيضاً بمؤشر أو بمبرر لأزمة عميقة أصبح يعاني منها التفكير العقلاني ، وكذلك عجز هذا التفكير على الصعيدين النظري والمنهجى في فهم واقع اجتماعي وثقافي وسياسي لم يتوقع حدوثه من قبل).
وعن خيبة الأمل التي أصيب بها رجال الاجتماع يقول علي الكنز في إحدى دراساته (10):
(إني أريد من خلال تدخلي هذا أن أقوم بمساهمة متواضعة في تحديد هذا المجال الجديد للبحث الذي يفرضه علينا ما عرفناه من خيبة أمل في تاريخنا الفعلي ، وفي قدرتنا على معرفته علمياً).
لم تكن العقلانية فقط هي التي سقطت مع ظهور الصحوة الإسلامية وإنما سقطت معها كل شعارات التحديث والعلمنة وبناء المجتمع وضمان الرفاهية التي دخلت هي نفسها في أزمة خانقة عميقة وحادة أيضاً.

يعترف (الهرماسي) أستاذ الاجتماع بالجامعة التونسية :

(لقد جابهت الإنسانية في أواخر هذا القرن عدة أزمات مختلفة ، كأزمات الغذاء والطاقة والفقر ، وما من شك في أن مثل هذه الأزمات قد حد من قدرة البشر على إيجاد حلول ناجعة لمجمل المشاكل المطروحة عليهم ، حتى عندما تكون هذه المشاكل واضحة تمام الوضوح ، وبالتالي فإن الأيديولوجية العصرية التي ما انفكت تحمل شعارات التحديث والعلمنة ، والتي اضطلعت

ببناء الدولة العصرية ، ونحت معالم المجتمع الحديث وضمان الرفاهية دخلت هي نفسها في أزمة خانقة عميقة وحادة)(11)
لقد نجحت الصحوة الإسلامية تلك التي لم اعتقد رجال الاجتماع أنها لا تتفق مع متطلبات العصر في إحباط ما أسموه بالمحاولات الجريئة للفكر العربي المعاصر ، وساهمت في الأزمة التي آل إليها.

يقول علي الكنز معترفاً:

(إن هذا المنظور الجديد للوطن العربي والعالم الإسلامي يبدأ أولاً وقبل كل شيء كظاهرة لم نكن نتوقعها وغير متفقة مع متطلبات العصر ، ومن حيث هو كذلك فقد ساهم بقسط وافر في الأزمة التي آل إليها الفكر العربي المعاصر الذي يشهد اليوم إحباط أقل محاولاته جرأة)(12).
راقب رجال الاجتماع في بلادنا هذه الصحوة الإسلامية عن كثب على أمل يراودهم وهو محاولة التحكم فيها ، وسجلوا على أنفسهم بأنهم يقومون بهذه المحاولة مسترشدين بنفس الإطار الغربي الذي يرصد هذه الصحوة باهتمام بالغ.
يقول محمد شقرون أستاذ الاجتماع بجامعة محمد الخامس بالمغرب : (إن المشكل الأساسي الذي يطرح بالنسبة إلى البحث في هذه الظرفية الجديدة هو التحكم في الاتجاه الجديد الذي يريد أن يرى في الدين كل شيء ، ويمكن أن تعتبر المكانة التي أصبحت تحظى بها دراسة الحركات الدينية الجديدة في سوسيولوجيا الدين الانجلوسكسونية مادة خصبة للتفكير في هذا الإطار)(13)
توصل رجال الاجتماع في بلادنا في تحليلاتهم للصحوة الإسلامية وحركاتها إلى ما يلي :
أولاً: أن الحركات الإسلامية تسعى إلى تحقيق هدف أساسي كان ولا يزال ينحصر في محاولة العودة بالمجتمع العربي الإسلامي إلى النموذج الذي وجد في صدر الإسلام أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين(14).
ثانياً : أن هذا الهدف الذي تسعى لتحقيقه هذه الحركات كان ولا يزال يستمد شرعيته وتبريره من الإيمان الراسخ لدى منظري وقادة هذه الحركات ، وغالبية المسلمين من جهة أخري بأن الإسلام نظام حياة شامل يصلح لكل زمان ومكان ، ولذلك كانت هذه الحركات تصر على أسلمة المجتمع وعلى اعتبار الإسلام ديناً ودولة(15).
يقول (عاطف عضيبات) أستاذ الاجتماع في جامعة اليرموك بالأردن في لهجة تحد وعداء: (إن التاريخ العربي-الإسلامي برمته يشهد على استحالة الرجوع إلى الوضع الذي كان قبل العام الأربعين للهجرة ، وجميع المحاولات للعودة إلى بدء عهد الدعوة الإسلامية أو إلى مزج الزمني بالروحي مصيرها الفشل في يومنا هذا ، كما كان حالها بالأمس وكما ستكون غداً. (16)

ويقول عضيبات في موقع آخر: (وكلما تقدمت الأزمنة بالعرب المسلمين زادوا من إضفاء المثالية على تلك الحقبة التاريخية التي لم تتجاوز نصف قرن ، وكلما ألهمت سيرتها خيال ووجدان الرافضين للواقع المعاش إلى المجتمع الفاضل) (17) .

ثالثاً: ترجع الحركات الإسلامية باستمرار إلى الكتاب والسنة لفهم كل المشاكل التي تطرحها علاقة الإنسان بالعالم والطبيعة والانتاج والفكر والثقافة والمجتمع والقانون.. الخ. فكل تفكير سواء أكان علمياً أم غير علمي ، جمالياً ، أخلاقياً ، وسياسياً هو في النهاية مجرد عمل تفسيري وتأويلي لما جاء في الكتاب والسنة (18).

يقول علي الكنز بلهجة ساخرة : (في هذا السياق نجد حركة الأصوليين تمجد العصر الذهبي الأول حيث يصبح الأسطورة المؤسسة للتاريخ الفعلي ، أي للإسلام ، كما هو موجود فعلاً -إن صح التعبير- هذا الإسلام الذي يجب أن يفرض بصورة مطلقة وشاملة باعتباره المعيار الأوحد لتصور ما حدث في التاريخ وما سيحدث في المستقبل) (19).

رابعاً: ترفض الحركات الإسلامية أن ينحصر نشاطها في المجال الديني فقط ، وهي لا تقر بالفصل بين الدين والحياة الاجتماعية بصورة عامة ، وتعتبر هذا الفصل موقفاً غريباً لا يمت إلى الإسلام بصلة ، وإن التمييز بين ما هو ديني ودنيوي غير وارد بالنسبة لهذه الحركات التي ترفض كل علمنة وتعتبر نفسها في الوقت ذاته حركة دين ودنيا ودولة(20).

خامساً : تقوم الحركات الإسلامية على أساس الشرعية الإسلامية ، بمعنى تطبيق الشريعة الإسلامية و وترفض أن تطرح هذه الشرعية على أساس آخر ، ويعني هذا عند رجال الاجتماع أن هذه الحركات تتجاهل كل الثقافة العصرية التي تعتبرها أجنبية وغريبة بما فيها مسألة الديمقراطية والصراع الطبقي.

سادساً: تسعى الحركات الإسلامية إلى إقامة الخلافة الإسلامية ، كما أنها تنظر إلى العالم على أساس ثنائية دار الإسلام ودار الحرب. وهي تهمل بذلك - كما يرى رجال الاجتماع - الإشكالية العصرية المتمثلة في الدولة الوطنية ، وتجارب التنمية الوطنية المختلفة التي شهدها الوطن العربي.

وبإسقاط الحركات الإسلامية مسائل الديمقراطية والصراع الطبقي والدولة الوطنية وتجارب التنمية من حساباتها تكون قد سحبت من يد رجال الاجتماع مرتكزات أساسية يعتمدون عليها في تبرير وإثبات وجودهم وأهميتهم للجماهير.

سابعاً : يبدأ الإعداد لهذه الحركات في المدارس والجامعات ؛ ليمتد بعد ذلك إلى نشاطات تستهدف مراقبة المجتمع انطلاقاً من المساجد لينتهي في الأخير إلى المواجهة المعلنة مع الدولة والنظام السياسي من خلال أحزاب في سياسية تتخذ الإسلام قاعدة لها.

ثامناً: انتقلت الحركات الإسلامية من موقف دفاعي إلى موقف هجومي بفضل تطور القضايا التي رسمت علامات حركتها كالإصلاحات التربوية والتنديدات الأخلاقية والانتقادات السياسية عبر المساجد والمؤسسات والأحزاب السياسية.

تاسعاً: لا تختلف الموضوعات التي تتمحور حولها الحركات الإسلامية من بلد عربي إلى آخر ، وتتسم هذه الموضوعات بالبساطة ، وتتبلور حول مسائل لا تضيف في حد ذاتها أي جديد ملفت للانتباه ، بل تكمن أهميتها في طريقة عرضها وفي فعاليتها الأيديولوجية.

عاشراً: تـمـكـنـت الـحـركــات الإسلامية من التغلغل في القطاعات الاجتماعية المختلفة، وكونت قاعدة اجتماعية واسـعـــــة لمواجهة الأنظمة القائمة ، ومحاولة العودة بالمجتمع الإسلامي إلى منابعه الأصيلة (21) ، كما نجحت في اختراق التنظيمات الطلابية وسيطرت على اتحاداتها وامتد تأثيرها إلى أعـضــاء هيئة التدريس بالجامعات (22) ، وذلك بسبب مرونتها وعموميتها التي جعلتها قوية وقـــادرة على استيعاب قوى اجتماعية متباينة(23) يعني ذلك في نظر رجال الاجتماع أن الحركــات الإســلامـيــة لا تـقــر التمايز الطبقي في المجتمع، وأنها تتعدى الطبقات وتحتويها كلها في الوقت ذاته على عكس الأيديولوجيات والأنظمة الفكرية التي ظهرت ابتداءً من القرن التاسع عشر والتي تصور المجتمع على أنه قائم على وجود طبقات ومصالح اجتماعية(24)، وتنظر الحركات الاجتماعية إلى المجتمع على أنه كيان توحده العقيدة وليس كياناً يرتبط بمـجـــرد مصالح عملية وعلاقات إنسانية سطحية ، وإذا أخذت هذه الحركات هذا التمايز في اعـتـبـــارها فإنها تفعل ذلك من أجل التنديد بآثاره.

حادي عشر: الـحـــركــات الإســلامية متعددة الأبعاد تكتسح المجال الاجتماعي عبر موجات متتالية تغمر بالتدريج كل جـــوانب الحياة الاجتماعية من تعليم وآداب واقتصاد وسياسة، ولا يـنـجــو مـنهــا أي جانب، حتى الهندام وكيفية الضحك والحب يمكن أن يخضع لها في وقت ما ، وهذا يعني في نظر رجال الاجتماع أنها حركة شاملة وشمولية.

الهوامش :

1- علي الكنز ، الإسلام والهوية ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1990 ص 95.
2 - جلال أمــين ، بـعـض مظـاهر التبعية الفكرية في الدراسات الاجتماعية في العالم الثالث.
3- علي الكنز ، الإسلام والهوية ص 92.
4- علي الكنز ، الإسلام والهوية ص 95-96 .
5- نفس المصدر ص 95.

6- علي الكنز ، الإسلام والهوية ص 96.
7- عاطف العقلة عضيبات ، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1990 ص 152.
8 - سمير نعيم ، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني،الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1990 ص 231.
9- علي الكنز ، الإسلام والهوية ص 96.
10- نفس المصدر ص 96-97.
11- عبد الباقي الهرماسي ، علم الاجتماع الديني ، المجال والمكاسب والتساؤلات ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1990 ص 30.
12- على الكنز ، الإسلام والهوية ص 94.
13- محمد شقرون ، الظاهرة الدينية كموضوع للدراسة ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1990 ص 132.
14- عاطف عضيبات ، الدين والتغير الاجتماعي ص 154.
15- نفس المصدر ص 154.
16- عاطف عضيبات ، الدين والتغير الاجتماعي ص 161 .
17- ننس المصدر ص 154.
18- علي الكنز ، الإسلام والهوية ص 93-94.
19- المصدر السابق ص 93.
20- علي الكنز ، الإسلام والهوية ص 92.
21 - عاطف عضيبات ، الدين والتغير الاجتماعي ص 154.
22- سمير نعيم ، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني ص 233.
23- علي الكنز نقلاً عن سمير أمين ، الإسلام والهوية ص 92.
24 - علي الكنز ، الإسلام والهوية ص 92.

محاضرات

الجامعة في مجهر القراءة المعاصرة[1]

د.مصطفى السيد

أريد بمصطلح القراءة الوارد في عنوان هـذه المحـاضرة »نظرية القواعد التي تحكم تأويلاً من التأويلات ، أي تحكم تفسير نص من النصوص أو تفسير مجموعة من العلامات التي يمكن النظر إليها بوصفها نصاً«.

(والسبب وراء شيوع مصطلح القراءة بمثل هذا التـصور في ثقافتنا العربية المعاصرة راجع إلى الرغبة في تأكيد الطابع التفسيري لكل فعل من أفـعال

القراءة في مختلف المجالات الثقافية من جانب ، وتأكيد الدور الذي يقوم بـه القـارئ في عملية القراءة من جانب ثان ، وتأكيد الطبيعة المعرفية التي تصل القـارئ بالمقــروء فـي عـمـلية إنـتاج مـعرفـة جديدة من جانب ثالث)(2).
هـذه الـقـراءة الإنتاجية هي نقيض للقراءة الاستهلاكية ، والقراءة الإنتاجية فعل حضاري وسلوك مـدنـي ، وهي بتـوفـيق الله السبب القوي لتغيير المواقع والواقع في أي أمة ، وهي معيار الحكم في الخلف في كـثـيـر من القضايا التي لا يكون الموضوع سبب الاختلاف ، بل يعود إلى الكم والكيف القرائي حول هذا الموضوع ، ومثل هذه القراءة لم تمت ولن تموت في عالمنا الإسلامي ، ولكن الذي مـات ولم يعد له جمـهـور هـو الكلام المكرر والفكر المبتسر ، ولابد أن أشير إلى أن من لوازم هذه القراءة الاطلاع المتكامل على العناصر ، لأن المقروء وإن كان واحداً في النتيجة، فهو ليس وحيداً في المسببات والمقدمات، أقــول هــذا لما يكتنف الحديث عن الجامعة محاذير لا حد لها ، ولعل أدهاها هو خطر السقوط في الـتـنـظـيــــر الأخلاقي المجاني السهل ، وهو أمر تميزت به كثير من القراءات وتوكأت عليه ، وأرجو من الله أن تربأ عنه هذه الدراسة ، وقبل البدء نلقي هذا السؤال :

ما هي الجامعة؟

في المعجم الوسيط : (الجامعة مجموعة معاهد علمية ، تسمى كليات تدرس فيها الآداب والفنون والعلوم)(3).
ويلحظ على هذا التعريف غياب العلوم الشرعية عن مفرداته ، وفي ذلك إخلال واضح بالصورة التاريخية للجامعة كما كانت عليه في تراثنا الجامعي المتمثل في جامعة الأزهر ؛ لأنها أقدم جامعة على وجه الأرض ، حيث أنشئت عام 970 م ، بينما أقدم جامعة غربية لا يتجاوز عمرها القرن الثاني عشر الميلادي ، هذه الجامعة الأزهرية كانت تحمل عب ء الدراسة الشرعية واللغوية عبر القرون ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي القائل في فضل الأزهر(4) :

يــا مـعهـداً أفــنى القـرون جداره وطــوى الليــالي ركنه والأعصرا
ومشى على يـبـس المـشــارق نـوره وأضاء أبيـــض لجها والأحمرا
وأتى الزمــان علـيــه يحمي سنة ويذود عن نسك ، وبمنع مشعرا

وهناك تعريف آخر »المؤسسة التي تتولى التعليم العالي«:

أما في الغرب فالكلمة مأخوذة من universitas،وقد أطلقت في العصور الوسطى ، كل المؤسسات التعليمية الجديدة وتعني : رابطة أو اتحاد بين مجموعة بين الأفراد ينظمون بأنفسهم شؤون مهنة معينة)(5).

ولكن من المهم ان نلاحظ أن الجامعة قد تحولت عن مفهوم كونها جامعة أحادية الوظيفة لتصير قائمة على التعددية في الوظائف والأقسام ، وهذا ما عبروا عنه بالإنجليزية From university to a multiuniversity

وفي تعريف غربي معاصر للجامعة هي بالمعنى الدقيق :
(المؤسسة التي تعلم الطالب العادي أن يكون شخصاً مثقفاً وعضواً ناجحاً في مهنة ما)(6).
ولقد كان تعريف الجامعة ودورها يتطور في الغرب تبعاً للنظير الحضاري والمعرفي ، لأن الجامعة جزء من البنيان الفوقي للمجتمع ، وتتأثر بالبنيان التحتي وتؤثر فيه.
هي إذاً في متن الحياة العامة أوثق حلقاتها قربى وأكثرها أهمية (7) ؛ لأنها (تحرض على الإبداع ، وتستثير كوامن القلق ، وتبعث هاجس العطاء الأصيل ا لمنفرد) (8).
وأما اختيار الجامعة لهذه القراءة فلأنها تأتي في طليعة التشكيلات التي تحمي عقيدة الأمة ووجودها الثقافي والعلمي ، وتقف على خط الدفاع الأول ذائدة عن حدودها الفكرية وتطلعاتها الثقافية ، وجندها في ذلك فئة اجتماعية تعرف »المثقفة« التي تصوغ وعي الأمة وتقودها ، وهي التي تتلقى مشاعر الأمة وآمالها النابعة من عقيدتها ، وحاجاتها الراهنة والمستقبلية والمتأثرة بتاريخها وتراثها ، تتلقاها وتحولها إلى وعي ، وتحول الوعي إلى إرادة ، وتحقق الإرادة في إنجازات.
إن النخبة من مدرسي الجامعة (إذ تقود الأمة فهي تنقل نشاطها في المقابل ، من حيز العلم الموضوعي اليومي الغارق في الجزئيات إلى مستوى العمل الإرادي الفاعل النابع من رؤية شمولية)(9).

وهي تفعل ذلك كله من خلال وظيفتها الرئيسية وهي :
»التحليل النقدي لعمليات إنتاج المعرفة ونشرها وتطبيقها«(10).
وبذلك تكون الجامعة أحد المعالم الرئيسية لمؤسسات الأمة ، كما في أدائها لدورها المدخل الرئيسي لعمليات التنمية المعنوية والمادية للمجتمع المثالي المطلوب إحداثه ، من هنا مسؤولية الجامعيين ، وكل القيمين على الجامعة في أن يكونوا بمستوى حقيقة الجامعة ووظيفتها ، ولا يمكن للجامعة أن تحقق سيادة العلم في وطنها إذا لم تكفل سيادتها في داخلها أولاً ، ولا أن تبعث القوى الخيرة في مجتمعها إذا لم تكن هي قد حققت هذه القوى في صميمها ، ولا أن تسهم في بناء حياة وطنها على المبادئ والقيم ، إذا لم تشد هي بنيانه ذاته على نفس هذه القواعد ، وبقدر ما تكون الجامعة ممثلة لهذه الحقائق على أرض الواقع ، بقدر ما تكون النتائج متحققة حسب التطلعات والآمال المرجوة منها.

في بحث لأستاذ العلاقات الاجتماعية بجامعة هارفارد بعنوان (فيروس العقل) أجراه على أربعين بلداً وصل إلى هذه النتيجة : (وهي أنه كلما ازدادت مواد القراءة في المؤسسات التعليمية التي تبحث على الأمل والعمل جاءت النتيجة بعد ذلك بنحو عشرين عاماً زيادة في النمو الاقتصادي ، والعكس كذلك صحيح ، وكان من أهم ما لاحظه الباحث في مطالعات البلاد التي تقدمت بعد حين أنها احتوت على العلاقات الاجتماعية التي تجعل الفرد يعمل من أجل نفسه ومن أجل سواه في آن معاً ، كما كان من أهم ما لاحظه الباحث في مطالعات البلاد التي تدهورت بعدئذ أو واصلت طريق التدهور أنها بالغت في الإشادة بالطرائق التقليدية في الفكر والسلوك)(11) ، والتقليدية (اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل ، كأن هذا المتبع جعل قول الخير أو فعله قلادة في عنقه)(12).

ومن الطرائق التقليدية : الطريقة التلقينية التي تؤدي إلى الانقطاع بين المجتمع ومضمون المواد الدراسية ، لأن المعارف التي تلقن سواء منها ما ينتمي إلى التراث ، أو ينقل من العلم الحديث معارف غير مبيأة عربياً ، غير معدة للغرس والاستنبات في المجتمع ؛ لاعتمادها أسلوب التلقين ، ولقد كانت التلقينية التي تسلسلت إلى العقل المسلم والثقافة الإسلامية حيناً من الدهر ، وتقدمت المذهبية على حساب المنهجية ، كانت شذوذاً تأباه طبيعة الإسلام وعقيدة الإيمان التي دعت المسلم إلى القراءة في كتاب الله المسطور هو القرآن ، قال تعالى : ((ورَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً)) ، وقال سبحانه : ((إنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)) ، فالارتباط واضح بين تحمل المسؤولية وبين تأسيسها على القراءة المتأنية ، كما دعته إلى التأمل في كتاب الله المنشور ، وهو الكون الواسع ، قال تعالى : ((إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ والْفُلْكِ الَتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ومَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) [البقرة 64].

فالثقافة التي تقدمها الجامعة ليست حشداً للمعلومات عن طريق التلقين (بل هي تفاعل بين الإنسان والعقيدة والفكرة ، ويظهر أثره في السلوك ، فقد يحفظ الإنسان معلومات كثيرة ، ولكن سلوكه الاجتماعي غير مقبول ، فنظرته للآخرين فيها استعلاء واحتقار ، وتقويمه للمواقف مبني على الأنانية وحب الذات ، وتذوقه للجمال ضعيف يدل على بلادة المشاعر ، وضعف الإحساس ، وكلامه خال من المشاعر الرقيقة والمشاعر الطيبة ولا تظهر فيه آثر المعلومات التي يكتنزها ، فمثل هذا ليس مثقفاً ، بل هو جهاز كمبيوتر من نوع بسيط ورخيص لقدرته المحدودة على الاستيعاب والحفظ)(13).

والإسهام في الثقافة هو إذاً غاية العمل الجامعي وكماله ، وللإسهام هذا صيغ وميادين تتنوع وتتعدد وتتمايز لكنها تتفق جميعاً في كونها إضافة أصلية

متفردة. الإسهام أن يضيف أو يقدم جديداً ، والجديد متاح في ميادين الثقافة كلها ، والعجز عن الإضافة لا يعني العجز عن ولوج بوابات المستقبل فحسب ، بل يعني كذلك فشل الاحتفاظ بلحظة الحاضر ، والكينونة التي لا يضاف إليها تخسر من ذاتها ، فتتراجع إمكاناتها وتنحط حتى الصدأ فالمرض فالموت ، وتبقى في النهاية فيما لو بقيت قفراً قاحلاً مجدباً ، ذلك هو مصير جامعة لا تضيف إلى الثقافة جديداً ، ومصير طلاب وأساتذة يمضغون نظريات ويرددون اجتهادات خلف اجتهادات ، ويبقون خارج همّ الإضافة وعظمة الإبداع ، الإضافة هي إعلان الحق بدخول المستقبل)(14).
وخير عون للجامعة على تحقيق رسالتها بعد توفيق الله حرية النقد المنهجي ، إذ كيف يمكن لمسيرة العلم والثقافة عموماً أن تتعزز ما لم يطلق العنان لنقد صادق حر ، لا يخضع إلا لسلطة النص الشرعي ، أو الحقيقة العلمية ، أما إذا أسقطنا حرية النقد المنهجي »فإن ذلك يورث معرفة بائسة هجينة ملفقة ، أدنى من أن تستجيب لشروط الثقافة التي اؤتمنت الجامعة عليها. الجامعة مطالبة إذن إدارة وهيئات بتشجيع ذلك اللون من النقد ، فتحث عليه وتطلبه دوماً ، فلا يطغى على البحث التلقين ولا على النقاش التصديق الآلي ، ولا تقدم المعرفة أياً كانت جاهزة ونهائية ، فالكلمة الأخيرة - ما عدا ثوابت الشريعة - اصطلاح لا محل له في العلم والمعرفة ، وإذا كان هناك كلمة أخيرة حقاً فهي للتجربة والاختبار والتاريخ (15).
ولنا في المنهج القرآني مستند عظيم ، فقد أعطى خصوم العقيدة فرصة التعبير عن نظريتهم الكفرية ، ليتبع ذلك نقدها ، ومن ثم نقضها تأسيساً للحقيقة وتوجيهاً للعقول السليمة إلى حرية الاختيار القائم على الأدلة الواضحة ، قال تعالى : ((أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)) [النمل 60].
وإذا كان أداء الجامعة لدورها يشكل صمام الأمان لعقيدة الأمة ومستقبلها المؤسس على العلم ، فإن إخفاقها يعد كارثة عظيمة ، ولقد قرأت مرة هذه الكلمة : إذا أخفق المزارع فالخسارة ضياع موسم زراعي ، وإذا أخفق المصنع فالخسارة ضياع حفنة من الدراهم ، ولكن إذا أخفقت الجامعة فالخسارة ضياع الجيل ، وفي شعر مترجم لشاعر مسلم هندي أنثرها لكم ، تتبين فيه خطورة انحراف الجامعة عن دورها حيث يقول : »يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك أسهل طريقة لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ«. أجل فالكليات الجامعية قد تكون بفضل الله معبر الأمة إلى حياة أفضل، وقد ترافقها بعض السلبيات فتحرفها عن منهجها، لتلقي بالجيل ومن ورائه الأمة في مهامه الردى وسباسب الهلاك.

إن ثمن خطأ أحد ركاب القطار قد لا يدفعه إلا هو ، أما إذا أخطأ قائد القطار فالركاب وعربة البضائع سيواجهون الردى والعطب ، وهكذا يكون حال المجتمع إذا كثرت سلبيات الجامعة ؛ لأن منزلة الجامعة من المجتمع تشبه من بعض الوجوه وظيفة القائد للقطار الذي ينقل الناس إلى محطات الأمان والآمال.

ولعل من أخطر السلبيات التي تحاقبت مع نشأة المؤسسات الجامعية في العالم الإسلامي، وتزامنت مع بداية نشاطها ، أنها أخذت تمارس دورها تربية وتعليماً منطلقة من الخلفية الثقافية الغربية التي ارتكزت عليها الجامعة في الغرب ، يقول بعض الباحثين العرب : »إننا في الواقع ورثة جامعات فرنسا وبولونيا«(16) .

ويـقـول الـدكـتـور أكـرم ضـيـاء الـعـمري الرئيس السابق لقسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية:

»نشأت معظم الجامعات في العالم العربي والإسلامي على أسس علمانية ، وذلك بحكم تسلط القوى الاستعمارية على العالم الإسلامي في وقت تكوينها ، فطبعت بطابع الحضارة الغربية ، ونقلت إلى الطلاب نظريات العلماء الغربيين في حقول الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس، نقلت إليهم على أنها مسلمات علمية وأنها العلم لا سواها ، وهكذا درس طلابنا ويدرسون« : سان سيمون - أوجست كونت - دوركايم - ليني بريل - ديفيد هيوم - آدم سميث - هويز - هربرت سبنسر - فرويد - ماركس - أنجلز - بافلوف - ديوي - برتراند راسل - هارولد لاسكي ، وكلهم ينطلق من أساس غير ديني في تفسير نشأة الخليقة والإنسان والمجتمع ، وقد لا يمر على مسامع الطلاب اسم الإسلام وأسماء علمائه(17) . أَمَا عَلِمَ جامعيونا أن فقرنا أمام الفكر الغربي فقر معاصر ، وأن نقلنا المباشر عنه في كثير من الأحيان يصبح مهزلة فكرية. إذ إن ما نقلناه عنه جزء من أصيل تراثنا الذي نجهله جهلاً مؤسياً(18).

إن مثل هذه الأنهاج التعليمية قد أعطت الإسلام دوراً هامشياً في تكوين ثقافة الجامعي ، تاركة للطالب حرية التعاطي مع الدين ، ومؤمنة له حق الولوج والخروج منه متى شاء وكيف شاء ، عاملة على تثبيت الازدواج في المعتقد والسلوك وإضفاء الشرعية العلمية الغربية القائلة بقصر الدين على بعض النشاط الفردي دون أن يكون له وجود أو دور فيما هو أبعد من ذلك.

ولقد كان الكثيرون من هؤلاء الخريجين من أمثال هذه الجامعات عقبة أمام طلائع الصحوة الإسلامية لدفاعهم عن القيم الجامعية التي تلقوها والتي تتناقض أحياناً مع عقيدة الأمة وهمومها.

ولكم سمعنا من جامعيين مرموقين وجامعات مرموقة كلمات مثل : هذا أمر ديني وذاك مدني ، أو علمي ، أو نظامي ، ولكل دائرته ودوره ودورته الحياتية ، وتأسس على مثل هذه المفاهيم الخطيرة ، دعوة خاطئة وهي توجيه

الجامعة إلى توكيد التخصصية بكل وسيلة دون أن تفسح المجال للإسلام أن يشارك مشاركة فعالة ؛ حماية لهذا التخصص من مزالق الخطأ ، وحملاً على توظيفه توظيفاً لا يصطدم مع المصالح العامة للأمة ، هذه الدعوة إلى التخصص الأصم المبتور عن عقيدة المجتمع وعن وحدة الثقافة تحصل في كثير من الجامعات العربية بالرغم من أن رسالة الجامعة تقوم على وحدة المعرفة ، على أساس أن المعرفة هي في الأساس بنيان واحد متكامل من الحقائق المترابطة ، كما يوجد في الغرب صوت يدعو إلى توحد التخصصات وتوحيدها ، بل توحيد روحها وجوهرها وأصولها في شخص واحد ، لإزالة التنافس ، أو التعارض القائم بينها - لدى تفرقها في أفراد - هذا التعارض الذي تدفع البشرية ثمناً له من أمنها واستقرارها ، بل وحتى استمرارها.
وفي الولايات المتحدة أيضاً نجد جيمس كونانت رئيس جامعة هارفارد 1978 - 1983 م يلج بوابة التربية من عالم الكيمياء ، ميدان تخصصه الدقيق ، ليترك منطلقاً من تخصصه الكيميائي مشاريع تربوية عملية تبنتها الحكومة الأمريكية ، ولقد كان في التطبيق الرسمي لآراء كونانت ردم للثغرة التي حدثت في الثقافة الأمريكية عشية سبق روسيا لأمريكا في إطلاق أول قمر صناعي إلى الفضاء عام 1975 م ، فإذا تبين لنا أن هذين الباحثين وكثيرين غيرهم يدعون للتصالح بين التخصصات لأمن الإنسان وراحته ، فالتصالح بين العلم والإسلام لم يعد مطلباً جمالياً، بل ضرورة يقتضيها تاريخ الأمة، وجغرافية الأفكار فيها؛ لأنه لا يمكن للمثقف أن يحصر معلوماته في قضية واحدة من قضايا الفكر إذا أراد أن يبقى مثقفاً«. والتخصص المعمق والثقافة الموسوعية من السمات البارزة في تاريخ العلم الإسلامي ، فابن حزم ترك عشرات المؤلفات في شتى موضوعات المعرفة ، وأثارت في عصرها وعصرنا ما تثيره الثقافة الحية في متلق واع ، وابن خلدون في مقدمته ليس بعيداً عن ابن حزم.
وإذا عبرنا إلى المشرق نجد لدى ابن تيمية مشروعاً ثقافياً متكاملاً لمواجهة التآكل في عقل الأمة وثقافتها ، والتراجع في عقيدتها ، كما كان حضوره على جبهة الفكر اليوناني بما كان يمثله من بريق بهر كثيراً من معاصريه ، فلم يجد بداً من أن يجابه هذا الإعصار اليوناني ، فكتب الرد على المنطقيين ، ودرء تعارض العقل والنقل ، وفي الساحة الثقافية الداخلية كتب العقيدة التدمرية والواسطية والإيمان ، وفي الفقه السياسي السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ونقد الفكر القائم في عصره بكل موضوعية وتجرد ، أشخاصاً وموضوعات. ولم يعان عقدة نقص أو تمذهب متعصب ، وسرت في كتاباته روح الوعي والإشفاق على الأمة حكاماً ومحكومين ، ومن يقلب صفحات الفتاوى يشعر أنه أمام عالم فقهي ، ومصلح اجتماعي ، وفقيه لغوي ، تعقب سيبويه وكتابه ، وسجل عليه بعض الملاحظات ، وتتبع سائر المؤسسات القائمة في مجتمعه ، فداخلها وحاورها باذلاً النصح والإخلاص فيه ، لقد كان

أمة في ثقافته ودوره ، كان في عصره بوصلة مجتمعه ، وبعد عصره تتجلى جهوده بمنهجه الذي خلفه وراءه ، وتخرج به كوكبة من كبار العلماء.
فلنقارن بين حضور ابن تيمية في حياتنا وفكرنا ، والنهضة العربية المعاصرة التي نبحث الآن عن خطوط البداية فيها.
إن المفاهيم النهضوية الغربية التي فرضت على الكثير من جامعاتنا جعلتنا لنتوهم أننا قد أنتجنا نهضة حقيقية ، لقد كنت أطالع في بعض المجلات المتخصصة مقالاً عن النهضة العربية الحديثة، أفكارها ورجالها، فوجدت كاتب البحث ينتهي إلى القول: وبعد مائتي عـام مـن الـنـهـضة ما زلنا نقرأ أهم الكتابات عن مجتمعنا وتاريخنا على يد المستشرقين، ومازلنا عاجزين عن إنتاج ما نستهلك (19).
والـجـــذر اللغوي للجامعة لا يباين الجذع الألسني للجامع، إذ بينهما في الاشتقاق والدور غير وشـيـجـــة وأكثر من صلة، والجامعات الإسلامية التي تحدرت أصولها من الجامع، ولدت تلبية لمطامح شرعية، واحتياجات اجتماعية وعقلية، وشكلت خلال مراحل تطورها في أكثر الأحيان إنجازاً رائعاً ، ولقد قامت هذه الجامعات فـي العالم الإسلامي لتؤكد على أصالة الأمة ، وتوثيق ارتباطها بماضيها الإسلامي المجيد، وتـبـنـي شخصيتها على هدي الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، فصارت أملاً يرتجى ، ومطمعاً للخـيـريـن. وجامعة الأزهر في مصر ، والزيتونة في تونس خير مثالين للجامعة القادمة من قيم المسجد الجامع ورسالته التربوية والتعليمية ولولا خشية الإطالة لذكرت نماذج للأزهريين والزيتونـيـيــن الذين أدوا دوراً عظيماً في تحقيق الترابط بين عقيدة الأمة وثقافتها وحاضرها ومـسـتـقـبـلـهـا، ويكفي جامعة الزيـتـونـــة فـخــــراً أن تخرج رجلاً مثل عبد الحميد بن باديس 1889 -1940م الجزائري ليعود إلى بلاده لـيقـــود أمة ترزح تحت الفكر الغربي والكفر الفرنسي ، فيؤلف ويحاضر ويخطب ويناظر ويسافر فـي طول المغرب العربي وعرضه ، حاملاً رسالة الإسلام جاعلاً حياته كلها للإسلام ، كما قال في أحد مذكراته ، إن جهود ابن باديس بفضل الله أثمرت رفض مسلمي الجزائر لفرنسا، وأشعلت الحرب ضد هذا الوجود الكافر.
إن ابن باديس والزيتونة مثال للجامعة والجامعي الذي يعرف موقعه ودوره في نهضة أمته وخدمة عقيدته ، في مثل هذه الجامعة ذات الأصول المسجدية.
يـقـــول الله عز وجل : ((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّـهُـــوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)) [التوبة602] ، في هذه الآيـــة يحث القرآن الكريم على طلب العلم بوصف النفرة (فلولا نفر) ، وذلك يجعل العلم والجهاد في موقع واحد ، كما أن سياق الآية وسياقها يضع التعبئة الفكرية على قدم المساواة مع التعبئة العسكرية.

روى الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : »من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله«.
ورضي الله عن عمر الفاروق القائل عن العلماء : »بذلوا أموالهم ودماءهم دون هلكة العباد«.
ويرحم الله ابـن القـيـم الـقـائــل : تبليغ سنته -صلى الله عليه وسلم- إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن الجهـــاد قـــد يستطيعه كل أحد أما العلم فليس له إلا أهله.

وأخيراً :

لأن الجامعة تقوم في متن الوطن وتحيا هموم أهله، ولأنها تلامس وتعي خصوصية محيطها وحاجاته ، بات عليها أن تمتلك مشروعها الثقافي الــذي لا يستجيب لخصوصية اللحظة فحسب، وإنما يدفع بها كذلك في سياق البعد الإنساني الأرحب والجامعة تستطيع ذلك، إذ لها من خبرتها وخبرة مدرسيها ما يسهم في توفير انفتاح أكبر على المجتمع والدخول معه بوابات المستقبل ، والجامعة عندما تتنازل عن مشروعها بسبب بعض العقبات فذلك يعني التنازل العلمي عن الماضي والحاضر والمستقبل.
وهناك عقبات داخل الجامعة وخارجها تحجم من دورها وتعمل على اختزاله واختصاره منها :
1- غياب الصلة الأخلاقية والأبوية بين الطلاب والمدرسين في الغالب، مما أدى إلى اهتزاز دور المدرس الجامعي الذي تشكل هذه العلاقة بينه وبين الطلاب العمود الفقري في الحياة الجامعية.
2- الانفجار السكاني الذي دفع إلى الجامعة بأعداد من الطلاب أكبر من طاقتها ، وكثيراً ما يكون استقبالهم على حساب سمعة الجامعة ومكانتها ، ولهذا يتعين على الجامعة أن توازن بين حاجات السوق وأهدافها الاستراتيجية.
3- الاستفادة السلبية من الغطاء الجامعي من قبل بعض المدرسين للترويـج للـفـكــر المضاد لثقافة الأمة وعقلها ، والشعر الحداثي أوضح الأمثلة في هذا الميدان ، فهو نتاج بـعـــــض الجامعيين. قولاً ونقداً ، هذا الشعر ألغى نفسه وفقد قراءه ، وهو في كثير من نصوصه ليس إلا إحـيــــــاء للكهانة الوثنية تحت مسميات مختلفة ، غير أن أنكى ما في الأمر التغطية الجامعية له.
4- غياب الصلة بين الجامعة ومراكز البحث العلمي.
5- تواضع المـكـتبة الجامعية كماً وكيفاً ومساحة ومسافة وزمناً وعدم افتقار البحث العلمي إلى التأصيل والدراسة المكتبية المعمقة.
إن الروح الجامـعـيــة لا تخالطنا وتلازمنا ، لكوننا موجودين في الجامعة عمداء ومدرسين وطلابـاً، بل بكون الجامعة متلبسة فينا ، قيماً خلقية ، وموسوعية علمية ، ونهماً معرفياً، نرى اكتمالها في سعيها الدائم نحو الكمال.

إن الأمة التي ترسل إلى الجامعة بفلذات أكبادها، وجزء من دخلها ، تفعل ذلك واثقة من أن الجامعة سترد هذا العطاء عقولاً مؤهلة ، وأرواحـــاً متوثبة لنقل الأمة خانة أو أكثر في مراتب التقدم المنشود.

الهوامش :

1 - محاضرة ألقاها الدكتور مصطفى السيد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.
2 - قراءة جديدة لتراثنا النقدي 1/111-113.
3- المعجم الوسيط 1/135.
4- الشوقيات 1/151.
5- مجلة الفكر العربي عدد 20
6- حملة الفكر العربي عدد 20 ص 152و 151/158.
7- نفس المصدر.
8- نفس المصدر.
9- مجلة الاجتهاد عدد5 ص 5 بتصرف 1989م.
10- نفس المرجع ص 210.
11- هذا العصر وثقافته د. زكي نجيب محمود .
12 - الكليات لأبي البقاء الكوفي .
13- التراث والمعاصرة د.أكرم العمري ص 110
14 ، 15 - نفس المصدر ص 156 - 160.
16- التراث والمعاصرة ص 121.
17- المصدر السابق.
18- جدلية الخفاء والتجلي د. كمال أبو ديب.
19- مجلة الاجتهاد عدد5 ص 15 1989م.

البيان الأدبي

رسالة إلى قلب الدين حكمتيار (شعر)

أحمد بن راشد بن سعيّد

[رسالة إلى كل مجاهد أفغاني علمنا معنى العزة في زمان كثر فيه الخائبون والأتباع]

اضرب فديتك بالقـنابل
اضرب قلاعهم الحصينة
بالمدافع.. بالمعاول
لا تبق فيهم من يخون

ولا تصالح من يشاكل
اضرب - هديت -
فما بنى الطاغوت محض باطل
اضرب
ولا شلت يمينك.
واتَّبع نهج الأوائل
اضرب
فلا نام الجبان
ولا استطاب العيش خامل
اضرب
ونحن جنودك الأبرار
عشاق المحافل
لبيك نعلنها ونأتي
جحفلاً يتلو جحافل
اضرب فأمتنا تحن إلى ضياء الصبح
تستسقي الهواطل
اضرب فأنت لها تقاتل
اضرب فلا عاش التخاذل
هل أنت إلا عزة تصحو
وتاريخ يناضل
هل أنت إلا يقظة الأجيال
تجتاح المعاقل
اضرب فديتك بالقنابل
لله أنت
وزفَّ بشرى الفتح
وانهض بالجلائل
هذا أوان الفتح
كي تنساب في الكون الفضائل
هذا أوان الغرس
كي تزكو ربى الدنيا خمائل
هذا أوان العتق والتحرير
فاعصف بالسلاسل.
واضرب فديتك في المقاتل
هذا أوان الفصل
يا شيخي

وترتيب المسائل
لا ، نحن لن نبقى وسائل

أدب

أزمة الشعر الحديث

عبد الله بن إبراهيم الزهراني

كـان الـشـعـر ومـا يزال ميداناً رحباً من ميادين الثقافة ، وله دور فاعل في الحياة الثقافية الـمـعـاصرة ، ولكن كثيراً ، من المثقفين ومن أساتذة كليات الآداب العربية بدأوا ، يشكون ويـتـذمـرون بـشـكـل واضح مما ينشر هذه الأيام في الصحافة والمجلات الأدبية ، ويقولون بصوت واحد: لم نعد نفهم هذا الشعر الذي تقولون أيها الشعراء.

والشعراء بدورهم يلقون باللائمة على القارئ.

ترى ما السبب الذي أدى إلى ظهور هذه الأزمة تجاه الشعر الجديد؟

هنالك عوامل عدة أدت أو ستؤدي حتماً إلى خروج الشعر بمستواه الحالي - الذي تسوّد به كثير من الـصـحـف والمجلات العربية - من دائرة الثقافة ، ويرجع ذلك في نظري إلى أن هذا الشعر يمر بعدة أزمات منها:

1- أزمة فكرية :

إن مـا يـسـمـى بالـشـعـر الجديد نشأ أول ما نشأ على يد أناس متهمين فكرياً بدءً بالسياب ونازك الملائكة ، وعبد المعطي حجازي ، وصـلاح عـبـد الصبور .. وانتهاءً بسعدي يوسف ومحمود درويش ، والأفراخ الجدد ممن تربى بين أحضان تلك المدارس.

ولا زالـت الـقـضـية الفكرية هي المحور ، فإن الانفصام الثقافي بين أولئك الشعراء ، وبين الـطـبـقـة التي تمـثـل الأكـثـريـة في الـعـالـم العربي ممن يؤمن بدور، الشعر التثقيفى، بل والتـغـيـيـري، ومـنـهـم روّاد في الثقافة - أدى ذلك إلى وجود أزمة للقصيدة الجديدة ، إذ تلقاها الجمهور المثقف على أساس أنها تمثل تياراً مناقضاً للموروث بكل أشكاله ، فرفضت ولفظت من هذا الجانب بكل قوة ، إذ أنها بما تمثله من تيار فكري غريبة تلقى أصحابها فتات الثقافة الأخرى.

والحق أن الانحراف الفكري لمنظري القصيدة الجديدة بلغ درجة لا تطاق ، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، ومن يلقي نظرة على إنتاج تلك الفئة يجده بيناً ، وعلى سبيل التحدي من أمثال البياتي ، والسياب ، وأدونيس ، والمقالح ، وبلند الحيدري.. الخ.

حتى أصـبـحـت قـضـيـة الـمـفـارقـة الفكرية سمة ملازمة للقصيدة الجديدة وتنضح بعبارات الإلحاد وشعاراته ، مما يرفضه حس الإنسان المسلم.

2- أزمة في الغموض :

هذه هي الأزمة الثانية التي تردت فيها القصيدة الجديدة وبخاصة في جيلها الثالث.

والـمـقـصـود به الغموض الذي يصل إلى حد الأحاجي والألغاز، إذ أضحى الشعر عند هذه الفئة نوعاً من الحذلقة ، والتصنع في رص ألفاظها والتراكيب ، حتى أصبح الغموض سمة الشعر الجيد عند هذه الفئة ، لدرجة لا يكاد يفهمه صاحب النص، مما حدا بأدونيس أن يـقـول عـن فـهـم الـشـعـر: »ليس من الضروري لكي نستمتع بالشعر أن ندرك معناه إدراكاً شاملاً؛ لأن مثل هذا الإدراك قد يفقدنا هذه المتعة.. «.

ويقول أحد المعجبين بأدونيس: »إن الـشـاعـر المعاصر لا يتيح لهؤلاء الآخرين فرصة الولوج إلى عالمه بسهولة، بل يرى قمة المجد ألا يكون مفهوما«، فهذا الضرب من التنظير النقدي، وفتح باب التجريب على مصراعيه أديا بكثرة كاثرة من الجيل الثالث أن يتسلق هذا السلم كل من أراد الظهور والشهرة، وكـــان لبعض المجلات والجرائد المختصة دور تخريبي لا يغفل. ويأتي الغموض تحت شعار تجـــديد اللغة الشعرية ، وإصرارهم على الإتيان بصور غريبة يأباها الذوق العربي ، إذ هي بعيدة كل البعد في تركيبها عن العربية.

من ذلك مثلا قول »أدونيس«:

هذه ناري
لا تبق آية ، دمي الآية
هذا بدئي

ونحوه قول »أنسي الحاج«:

المدينة الحاضرة جيب صادق
يهدل لحم الليل
يتفسخ يتطاير محروقاً
وشظايا نار
مدّها قحط السنوات
من حاملي الألوية.

وعلى نفس المنوال يقول - أحمد عبد المعطي حجازي :

وبعد صمت لم يطل
الطائر الأخضر طار
الغصن ما زال بسحره يميل
كأنني شجرة من الشجر
مرت بها الأمطار
فسار في أعماقها حلم الثمر
وانحلت الأشرار

بعد طفولة طويلة بعد انتظار
فهي كما يقول الدكتور يوسف عز الدين »ولكن هذا الإيحاء غامض ، غموض الغموض ..«.
ولنا أن نتساءل ما الفائدة من الشعر إذا لم يتذوقه المفكر ويفهمه الأديب والمثقف.
على أنه ينبغي القول إن الشعر لا بد أن يـكـــون فيه نوع من الغموض الواضح إن صحت التسمية لئلا ينزلق الشعر إلى السطحية، بل إن الشاعر قد يلجأ إلى نوع من الرمز والغموض ليعبر عن قضاياه تجاه قوى القهر والظلم ، والـشـاعر الذي يمتلك الموهبة والثقافة يستطيع أو يوازن بين الغموض والوضوح.

3- أزمة المتلقي :

لعل أشد الأزمات قتامة مني بها دعاة الشعر الجديد هو المتلقي ، إذ يتشكى كثير منهم من انفصام العلاقة بين كاتب القصيدة ومتلقيها، وذلك يرجع في نظري إلى السببين السابقين، إذ أديا إلى النفور العام من القصيدة الجديدة ، برغم محاولة كثير من الشعراء والمثقفين لهم من النقاد الإلقاء باللائمة على الجمهور المتلقي ، لأنهم كما يزعمون ظلوا أسرى التخلف في مطالعاتهم ، مما نتج عنه عدم تفاعلهم مع الجديد ، وهذا القول فيه مجافاة للحقيقة ، فقد وجدنا أساتذة الأدب الحديث يقفون حيارى مشدوهين أمام كثير من النصوص لعجزهم عن فك طلاسمها.
والشعر إذا لم يتقبله الجمهور المثقف الواعي يفقد هدفه ، لذا فالأفضل أن يخرج من دائرة الثقافة عامة ، ومن فن الشعر خاصة.
عـلـى أن هـنــالك أزمات كثيرة تمر بها القصيدة الجديدة مما قد يطول المقام عندها كأزمة اللغة ، والإيقاع ، والسرقة.. الخ.
ولأن هذا الـشـعـــر منبوذ من قبل الأمة لمضامينه المنحرفة التي تعيش على فتات الأفكار المنحرفة يعجب المرء من هذا الغي والتمادي في الباطل.

خاطرة أدبية

قارئ الفنجان

سعد بن محمد عبد اللطيف

جلس الحلاج على كرسي في مقهى التاريخ.. يحمل معه كتاب »الثابت والمتحول« صفق بيده الغليظة..جاء يركض صبي القهوة ملبياً ذاك التصفيق ، تقدم الصبي إلى الحلاج قائلاً : ماذا تريد يا سيدي؟
الحلاج : أريد فنجاناً من القهوة الساخـنـة\ .. أسرع الصبي ليجيب الطلب ، فضاء المقهى يعج بالدخان.. راح الحلاج يتأمل الطريق المؤدي إلى جمعية

التحرر-الثقافي الذي هو عضو فاعل فيها. وهي تقع خلف المركز التجاري - الكبير. لابد من إصدار صحيفة تنادي للفجر الجديد.. لمحاربة المتعصبين والأصوليين المتطرفين.. أصحاب الأفق الضيق الذين يحاربون الرأي الآخر والحوار ، أصحاب التـسلـط والإرهـاب الفكري الأحادي.. أتى الصبي يحمل فنجان القهوة ، يضعه على الطاولة المتـسـخة.. ينقـطـع تـأمل الحلاج وتفكيره ويقبل على الفنجان يرفعه إليه ينظر إلى الفنجان.. يمارس هوايته.. قراءة الفنجان ليطلع على مستقبل الفكر وحريته ، وآخر أخبار البيت الأبيض والكرملين؟!

يتطلع في الفنجان باهتمام مشدوداً إليه.. شيئاً فشيئاً تتهلل قسمات وجهه وينفرج فمه عن ابتسامة صفراء ، ..»ها هم أو هم سيأتون في زمن ما ولكنهم سـيأتـون.. جـيـوش جـرارة من المـثـقـفـيـن لا التقـدمـيين.. يتصدرون المجالس والمنتديات.. ولكن ما هذا الهذيان الأدبـي وال1فكري الذي لا أفهمه.. لعلها تشبه بعض إبداعاتي الطليعية.

ولكن كلام هؤلاء يغلب عليه الغموض وشبيه بطلاسم وأساطير الهند والفرس.. أهم وصلوا إلى قمة الإبداع وجوهره؟ أم هو الفيض والعلم اللدني؟!

يعود إلى النظر في الفنجان.. يرى أحدهم اعتلى منبراً.. يلقي قصيدة.. يحرك يديه بانفعال كأنه يريد أن يمسك بذباب يضايقه »لو قال أحـــــد أو لـقـــي مثل هذا الكلام من مجانيننا وادعى أنه شعر وأدب لكان جزاؤه اللطم على الخدود والركلات على الرؤوس..«.

يعود إلى النظر في الفنجان »أواه إني أرى أمريكا.. الحضارة.. الثقافة..التحرر.. وذاك تمثال الحرية الشامخ. لكم تمنيت أن أصنع وأضع مثله في أرض الجزيرة أو الشام.. هم وصلوا إلى سطح القمر وأطلقوا؟ الأقمار الصناعية والناس هنا يتناقشون حـــــول الحيض والمسح على الخفين..«.

»عـلـى كـــل حـــال البركة في هذا الجيل القادم الذي رأيته في الفنجان قبل قليل..حقاً ما أروعهم وما أروع هــــذا الجيل وهذا الجو المتخم بالحرية والديمقراطية ، أين كل هذا من واقعنا الحاضر.. من هذا التطرف والتعتيم الإعلامي..«.

يبدأ بشرب القهوة بـعـــــــد تلك الخواطر.. يخرج من تأملاته.. لكنه يتذكر: غداً سألقي محاضرة في جمعية المرأة المثقـفـــة بعنوان »دور المرأة المثقفة المتحورة في التنمية« وسأقوم بقص الشريط لفتح معرض الشيكولاته والكعك ، وسيكون ربح هذا المعرض لجمعية المعوقين«.

يتشاغل الحلاج بنظر إلى زبائن الـمـقـهـى.. يمر بائع الصحف.. يصيح الحلاج : ناولني صحيفة اليوم.. يطالعها بلهفة.. »ما هذا ، لا أصدق؟« لم أجد ذلك عند قراءتي للفنجان..« يخرج نظارته..يلبسها مرتبكاً.. يتأكد.. يتمـتـم مـــــن

هؤلاء.. تبتلعه الدهشة..يسقط مغشياً عليه على أرضية المقهى المملوءة بأعقاب السجائر.. الـنـــاس حوله يتجمهرون..يستفسرون »احملوه إلى المستشفى« قال أحدهم.. يتفرق الجمهور يلتقط أحــدهم الصحيفة ، يرى السبب ويعلن الخبر..يقرأ.. »فاز الحلاج بجائزة نوبل لهذا العام. ومـــن المتوقع أن يكون هو حكم البلاد اللاحق«!

المسلمون في العالم

الصراع العربي - الإسرائيلي وأكذوبة السلام

مازن عبد الله

لـقـد انـتـهـت حرب الخليج بانتصار دول التحالف وعلى رأسها الولايات المتحدة ، التي خرجت من تلك الحرب كقوة عظمى وحيدة خاصة بعد سقوط منافسها الاتحاد السوفييتى وانحسار نفوذه على الساحة الدولية. ولقد ظنت الولايات المتحدة المنتصرة في الحرب التي أعـدت وجـنـدت لها وقادت دول التحالف فيها ، وفكرت بأن تلعب دور الشرطي الدولي، فـقـرر رئـيـسها صاحب القرار وبطل العملية ، وطموحاً منه في أن يدخل التاريخ وينظم إلى مجموعة عـظـمائه ، قرر أن يقوم بعمل يتوج فيه نصره ويذكره التاريخ عليه ، فوعد بنظام عالمي جديد ينهي به عهد الظلم والظلمات ويحكم على أساسه بالعدل والإنصاف .. وكان لابد له ، ولكي يصبح لكلامه هذا معنى ومصداقية ، بأن يبدأ بترجمة كلامه بحل مشكلة الشرق الأوسط ، منبع الاضطرابات وعدم الاستقرار في المنطقة والعالم. فكان القرار ، وكما جاء علي لسانه في خطاب له بعد انتهاء حرب الخليج مباشرة ، أمام الكونغرس الأمريكي .. »لقد حان الوقت لعقد سلام شامل في الشرق الأوسط يقوم على مبدأ الأرض مقابل السلام وعلى قراري الأمم المتحدة رقم 242 و 338«.

لـقـد مـضـى عـلـى بوش هذا أكثر من شهرين. وقبل أن نبدأ بتقييم الخطوات العملية لهذا الـقـرار الـتـي تم تنفيذها حتى الآن ، نود أن نستذكر بعض الأحداث. والتطورات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع ، ذلك أن قراراً كهذا لم يكن الأول ولن يكون الأخير ...

في حزيران عام 1967، قامت إسرائيل بعدوان على الدول العربية واحتلت سيناء والضفة الغربية وغزة والـجـولان ، فـمـا كـان مـن الدول العربية إلا أن لجأت إلى الأمم المتحدة في الشهر التالي من العدوان ، فـتـقـدمت دول أمريكا اللاتينية بمشروع القرار المعروف بالمشروع الـلاتـيـنـي ، والـذي يـقـوم على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام ، إلا أن الدول العربية رفضت القرار وقـتـئـذ باعتباره يقدم مزايا سياسية لإسرائيل. وفي شهر أيلول من

نفس العام تـم طـرح الـمـوضـوع مجدداً أمام مجلس الأمن ، فأصدر هذا الأخير وبعد مناقشات دامت شـهـريـن تقريباً قراره رقم 242 وذلك في 22 تشرين الثاني 1967؛ لقد تبنى مجلس الأمن الدولي وبالإجماع هذا القرار الذي قضى بانسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير. فلقد صدر هذا القرار إذن ، بغية إنهاء العدوان الإسرائيلي على الدول العربية ، ولكنه لم يتعرض لا من قريب ولا من بعيد للقضية الفلسطينية. ولقد حرص السفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة حينذاك على تسمية هذا العدوان نزاعاً ، وذلك لاعـتـبـارات قـانـونـيـة إذ أن اعترافه بالعدوان الإسرائيلي ، يستتبعه قبوله تطبيق الفصل الـسـابـع مـن مـيـثـاق الأمــم المتحدة الخاص بالعقوبات على إسرائيل ، وهو ما تم تطبيقه على العراق لعدوانها على الكويت. إنه وبالرغم من تجاهل هذا القرار للقضية الفلسطينية، فلقد ضربت إسرائيل به عرض الحائط ولم تنفذ شيئاً منه ولم تلقى أية ضغوطات لتنفيذه.

في 16 كانون الـثـاني 1969 ، أرسلت فرنسا خطاباً إلى كل من الولايات المتحدة والاتحاد الـسـوفـيـيـتـي وبريطانيا تقترح فيه أن يلتقي مندوبو الدول الأربع لبحث قضية السلام في الشرق الأوسط ، فوافقت الدول على اقتراحها ، وظل المندوبون الدائمون الأربعة في مجلس الأمن يلتقون طوال عام 1969 في نيويورك ، ولكن من دون جدوى ، فلقد باءت محاولاتهم ولقاءاتهم - هذه بالفشل.

في 22 تشرين الأول 1973 وخلال حرب أكتوبر تبنى مجلس الأمن الدولي القرار وتم 338 بأغلبية 14 صوتاً مقابل لا شيء. ولقد دعا هذا القرار جميع الأطراف المشتركة في الـقــتال إلى وقف إطلاق النار. والبدء فوراً بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242 بجميع أجزائه. ولكن القرار الجديد هذا لم يكن أوفر حظاً من سابقه ، فلقد ذهبت كلماته أدراج الرياح.

مع بداية عام 1990 ، وعقب انتهاء الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفييتي ولقاء رأيسيهما في مالطا طرحت مسألة الشرق الأوسط مجدداً كونها من أهم النقاط الساخنة ، وتم الاتفاق على إقامة مؤتمر دولي تشارك فيه جميع الأطراف تحت رعاية الأمم المتحدة. وبدئ فعلاً بالعمل والتحضير لهذا المؤتمر وكلف بهذه المهمة وقتئذ جيمس بيكر نفسه الذي يقوم بنفس المهمة الآن بعد انتفاء حرب الخليج والذي قدم مشروعاً من خمس نقاط لحل تلك المشكلة ، ولكن في النهاية كل تلك المحاولات والمشاريع باءت كسابقاتها بالفشل.

لقد انتهت الحرب في السادس من آذار 1991 بخروج أمريكا سيدة للموقف الدولي ، فعاد رئـيـسـها للـنـغمة القديمة ، ووعد بحل مشكلة الشرق الأوسط. ولقد عين لهذه المهمة وزير خـارجــيـتـه جـيـمـس بـيكر الذي بدأ فعلاً بجولات

مكوكية على الأطراف المعنية وكانت الـخـطـة الأمـريـكـية في بادئ الأمر تقضي بسحب موافقة جميع الأطراف على عقد مؤتمر دولي برعاية الأمـم المـتـحـدة وحـل النزاع على أساس القرارين رقم 242 و 338. لقد قابل الـعـرب والـفـلـسطينيون هذا القرار بالقبول في الترحيب بعد ما رفضه معظمهم في الماضي، فأيدوا مساعي بيكر وشجعوه على المضي قدماً في طريق البحث عن سلام عربي إسرائيلي في ضـوء تـلـك المبادئ التى أعلنها بوش ، وخاصة مقايضة الأرض بالسلام ، والاعتماد على »الـشـرعـيـة الدولية« وكما تسمى ، ممثلة في القرارين رقم 242 و 338. وشجعهم على ذلك أكـثـر فـأكـثر ، مواقف أوروبية أخرى كان أهمها موقف الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران الذي ، بالإضافة إلى موافقته على مـبـدأ الارض مقابل السلام وتحكيم »الشرعية الدولية« في حـل الـنـزاع؛ عـاد لـيـذكر بقرار الأمم المتحدة القديم بتقسيم فلسطين إلى دولتين ، واحدة إسرائيلية وأخرى عربية ، وهو القرار الذي ترفضه إسرائيل وتتجاهله أوروبا وأمريكا منذ الأربـعـيـنــات وحـتى اليوم...أما بالنسبة لإسرائيل ، فلقد رفضت الخطة الأمريكية رفضاً قاطعاً ، ورفضت فكرة عقد مؤتمر دولي ، كما رفضت إعطاء أي دور للأمم المتحدة ومجلس أمـنـهـا؛ خــوفاً من أن تحاول تلك الأخيرة ممارسة أي ضغط أو فرض أية حلول عليـها، وعزت رفضها هذا لعدم ثقتها بالأمم المتحدة التي تتهمها بالتحيز عندما قررت مـســاواة الصهيونية بالعنصرية. فلقد قال مرة »أبا إيبان« وهو أول مبعوث لإسرائيل في الأمم المتحدة، ويؤيد قيام الأمم المتحدة بدور ما في عملية السلام.. »لو أن العرب اقترحوا مشروع قرار يقول أن الأرض مسطحة ، فسيحصلون على موافقة أغلبية ثلثي أعضاء الجمعية العامة«.

في 10 نيسان 1991 أعلنت وكـالات الأنــبــاء، وعلى أثــر مقابلة بيكر مع وزير خارجية إســرائــيـل دافـد ليفي ، أنه تم الاتفاق بين أمريكا وإسرائيل على العمل على عقد مؤتمر إقليمي للسلام في الشرق الأوسط برئاسة الولايات المتحدة ومشاركة الاتحاد الـسـوفـيـاتــي والدول العربية على أن لا يكون الهدف النهائي لعملية السلام ، إنشاء دولة فلسطينية. ولقد اشترطت إسرائيل في هذا الاتفاق أن يتم التعامل مع المشكلة الفلسطينية على أســـاس خطة إسحاق شامير التي قدمها عام 1989 والتي تقضي بإجراء انتخابات محلية في المدن والـقـرى العربـيـة تمنح الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع -غزة حكماً ذاتياً محدوداً، تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة على الأرض والموارد والدفاع ، وتمتد فترة الحكم الذاتي هذه لثلاث سنوات ، تعقبها محادثات لاحقة حول الحل النهائي ، بشرط أن لا تجـبــر إسرائيل على قبول ما لا يناسبها. واشترطت إسرائيل أيضاً أن يتم تشكيل وفد فـلـسـطيني يتفق حوله معها ، ويكون من داخل الضفة والقطاع فقط ، كما اشترطت

الاعتراف بوجود أكثر من تفسير لقرار مجلس الأمن رقم 242 وإعلان واشنطن حق إســرائيل في الـتـفــســير الـمـنـاسـب لها ؛ وتفسر إسرائيل قرار مجلس الأمن بأنه يدعوها إلى الانسحاب من أراض احـتـلـتها في حرب عام 1967 ، وليس من الأراضي التي احتلتها في حرب عام 1967 ، وتـعـتـبر أنها التزمت بهذا القرار ومنذ وقت طويل وذلك عندما انسحبت من شبه جزيرة سيناء في إطار معاهده السلام التي وقعتها مع مصر عام 1979م.
وعلى صعيد اشتراك الاتحاد السوفياتي إلى جانب الولايات المتحدة في اللقاء ، اشترطت إسرائيل على موسكو أولاً إعادة العلاقات الديبلوماسية كاملة معها ، وثانياً الإقرار بنقاط اللقاء الإسرائيلي الأمريكي سابق الذكر حول شكل وهدف المؤتمر. تجدر الإشارة هنا إلى أن إسرائيل وخاصة اللوبي الصهيوني التابع لها داخل الكونغرس الأمريكي ، لعبت دوراً مهماً وأساسياً في الضغط على الاتحاد السوفياتي من أجل إعادة العلاقات الديبلوماسية كاملة معها ، ومن أجل إرغامه على تسهيل هجرة اليهود السوفيات إليها؛ فلقد ذكرت وكالات الأنباء في 17/4/91 أن وزارة الخارجية الأمريكية أصدرت بياناً جاء فيه أن الرئيس الأمريكي جورج بوش أوضح عندما وقع الاتفاق التجاري الأمريكي السوفياتي خلال اجتماع قمة واشنطن ، ومرة أخرى عندما أوقف مؤقتاً العمل بقانون جاكسون - فانيك ، الذي يحظر تقديم أية قروض إلى الدول التي لا تسمح بحرية الهجرة ، أنه لن يقدم الاتفاق التجاري للكونغرس إلا إذا طبق الاتحاد السوفياتي قانوناً جديداً للهجرة . ولقد أعرب المؤتمر القومي بشأن اليهود السوفيات في أمريكا وقتئذ عن قلقه العميق بشأن التقرير عن تأخر صدور هذا القانون. وكان هذا المؤتمر قد حث الولايات المتحدة على تخفيف القيود التجارية على موسكو عندما خففت القيود على الهجرة.
أخيراً ، فإن فكرة المؤتمر الإقليمي هذا الذي طرحته إسرائيل وتبنته الولايات المتحدة ، حتى هذه الفكرة حمّلتها إسرائيل من الشروط ما يشجع العرب على رفضها. بل يجعل من المستحيل القبول بها. ولكن وبالرغم من كل هذا ، قبلت بعض الدول العربية بها؟ فلقد اعتبرتها مصر ووصفتها بأنها »مفيدة جداً« ، وتخلت بذلك عن طلبها ، الذي تقدمت به خلال زيارة الرئيس السوري حافظ الأسد إلى القاهرة بمشاركة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن في هذا المؤتمر. ولقد ذكر مسؤول رفيع في وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ 11/4/1991 أن السعودية أبلغت بيكر أنها أوقفت الدعم المالي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأن الأمير سعود أبدى اهتماماً كبيراً بالاقتراع الأمريكي بعقد مؤتمر إقليمي للسلام بين إسرائيل والدول العربية والفلسطينيين بإشراف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي... وكانت سورية قد أصرت على التفاوض مع إسرائيل على الأسس التي اتفقت عليها المجموعة الدولية ، بما

فيها أمريكا ، وتنفيذ قراري مجلس الأمن في إطار مؤتمر دولي تشارك فيه كافة أطراف النزاع بما فيها الطرف الفلسطيني.
ومن المسلم به أن إسرائيل ترفض فكرة المؤتمر الدولي والانسحاب حسب قرارات الأمم المتحدة. وهذا ما حدا بوزير الدفاع الأمريكي ريتشرد تشيني ، في 29/4/91 إلى الحد من توقع حل مبكر لأزمة الشرق الأوسط ، فأعلن أن »الانتصار في حرب الخليج يجب ألا يعني في شكل تلقائي أن علينا أن نتوقع أن في استطاعتنا خلال مدة قصيرة إزالة كل النزاعات ومصادر عدم الاستقرار في المنطقة«. وفي رد له على سؤال في مؤتمر عقده معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى من بعد ظهر ذلك اليوم عما إذا كانت تستطيع الولايات المتحدة تحمل الفشل في التوصل إلى سلام بعد كل الجهود التي بذلتها ، أعرب عن أمله بالتوصل إلى حل سلمي للمشاكل في الشرق الأوسط وقال : »ولكنني أعتقد بأن علينا ألا نكون بسطاء للاعتقاد بأن الأمر سيكون سهلاً ، وأننا نستطيع في الضرورة حل المشاكل الموجودة في المنطقة«.
أخيراً يبدو واضحاً من خلال متابعة التطورات والتصريحات الرسمية التي رافقت جولات بيكر ، أن إسرائيل ترفض مبدأ الأرض مقابل السلام ، ولن تقدم تنازلات ، ولن تتخلى عن الضفة الغربية أو غزة أو الجولان ، ولن تقبل بدولة فلسطينية مهما كان شكلها ووضعها ، وتصر على استبعاد الدول الأوربية والأمم المتحدة ، ولا تريد إلا مؤتمراً إقليمياً وبجلسة واحدة تمهد لمفاوضات مباشرة تقتصر على إسرائيل وكل من الدول العربية على حدة.. فالذي ينظر إلى العقلية الإسرائيلية بعمق ، ويفكر بالنظرية الصهيونية ومنهجيتها العملية بعقلانية ، يعلم ويتيقن بأن تلك الفئة من المخلوقات ، عندما تتحدث عن أمن أو سلام ، إن هو إلا ذر رماد في العيون. وأن هؤلاء الذين عملوا وجهدوا طوال عشرات السنين وفي جميع الظروف والحالات ليصلوا وبكل الوسائل إلى هدفهم الموعود »إسرائيل الكبرى« ، عندما يتكلمون عن مؤتمرات إقليمية أو غير إقليمية ومفاوضات مباشرة أو غير مباشرة ، وعندما يتحدثون عن إمكانية تقديم تنازلات أو استحالتها ، إنما يتبعون أسلوباً ذكياً مبنياً على تخطيط مسبق بعيد وعميق ، يعملون ويقتسمون الأدوار على أساسه ، فهذا يميني وذاك يساري ، وهذا متطرف وذاك معتدل ، وهذا يريد السلام وذاك لا يريده ، فالقضية مناورات بمناورات ، والمسألة تمثيل بتمثيل ، وفي النهاية تجدهم متفقين على الهدف النهائي.. لقد ذكرت - صحيفة »هآرتس« أن رئيس حزب العمل شمعون بيريز تحفظ على تصريح النائب يوسي بيلين بشأن تأييد الحزب للحكومة في حالة انسحاب الأحزاب اليمينية منها إذا ما وافق رئيس الوزارة على تقديم تنازلات بشأن السلام. وقال بيريز: »ما كنت لأقول كما قال بيلين لأن تصريحاً كهذا كان سيخلق انطباعاً بأن شامير مستعد فعلاً

لتقديم تنازلات « ، وهو لا يريد أن يخلق انطباعاً بأن هذا ما سيحصل. وأضاف أن على الولايات المتحدة أن تمارس الضغط على العرب وليس على إسرائيل »فالعرب يهذون في أحلامهم ويبالغون في طلباتهم«.. فبيريز هذا ، وهو زعيم المعارضة في إسرائيل ، لا بأس عنده في أن يعارض وينتقد شامير في مسألة ميتوتة سلفاً وقطع شوطاً في تنفيذها كمسألة الاستيطان وبناء المستعمرات ، أما عندما تكون المسألة متعلقة بقرارات عملية لها علاقة بمستقبل إسرائيل ، فلا معارضة ولا خلاف. وتجدر الإشارة هنا بأن شارون وزير الإسكان الإسرائيلي ومدبر ومخطط عملية غزو لبنان بدأ بتعجيل برنامج إسكان ضخم في الأراضي المحتلة ليجعل من الانسحاب منها تحت ضغط من جانب واشنطن أمراً مستحيلاً. وهذا البرنامج يشمل خطط لبناء 13000 مسكن جديد في الضفة الغربية خلال العامين المقبلين.

أخيراً ، أجد من المناسب أن أختتم هذا المقال بكلام لوزير العلوم الإسرائيلي يوفال نئمان في مقابلة أجرتها معه مجلة (جيروزالم ريبورت)« وصف فيها المسيرة السلمية كحيلة خطيرة لإجبار إسرائيل على تقديم تنازلات خطيرة. قال: »إن اليهود تدبروا أنفسهم بدون سلام على مدى مائة سنة وبوسعهم أن يتدبروا أنفسهم بدونه مائة سنة أخرى«...

من مانغستو إلى غاندي
ماذا تعني هذه الأحداث

ما وقع أخيراً من الأحداث المتسارعة في دول آسيا وإفريقيا ، قد يبدو في الظاهر أنه لا يجمعه جامع ففي الهند اغتيل زعيم حزب المؤتمر راجيف غاندي الذي ورث زعامة الحزب عن والدته وجده ، وفي الحبشة فرّ منغستو متجهاً إلى زيمبابوي تاركاً بلاده إلى أزلامه المقربين، بعد حكم دموي دام أربعة عشر عاماً، وفي تونس ألقت الحكومة التونسية القبض على كثير من زعماء وأعضاء حركة النهضة الإسلامية، وذلك بتهمة التآمر والانقلاب على الدولة.

ماذا تعني هذه الأحداث ، وما هو الشيء المشترك بينها ، أول ما يتبادر إلى أن الذهن أن أكثر دول إفريقيا وآسيا (العالم الثالث) لا تزال في مرحلة تخلف واضطراب ، ولم تستقر على حال بعد ، وكل الحكومات المتعاقبة لم تسر على خطى صحيحة ، وتعمل في سبيل مصلحة بلدها ، وأولى الخطوات هي إعطاء الإنسان الكرامة التي يستحقها ، فالظلم يؤدي إلى الخراب الاقتصادي ، والخراب الاقتصادي يؤدي إلى الفساد الاجتماعي..وهذه الدول لاتزال تعيش عقلية القرون الوسطى الأوربية ، فالذين قتلوا راجيف غاندي إنما يريدون منه أن يكون أكثر تعصباً ضد المسلمين وهو لا يختلف عنهم إلا أنه ناعم

الملمس ، ومنغستو لا يقر بأي حق للمسلمين في بلاده ، بل إن مواطنيه يقولون : لن يتغير شيء بعد رحيله ؛ لأنه ترك أزلامه في السلط.(1).
وحركة النهضة الإسلامية كانت في البداية تداري وتؤيد الحكومة الجديدة على أمل الحصول على حقوق الإنسان الأساسية ، ولكن أمور الحكم تسير دائماً وكأنهم يريدون تفجيرها ليهدموا البيت علىساكنيه، وتبقى البلاد في حالة مزرية من الضعف والتمزق، وقد عبر راجيف غاندي لأحد الصحفيين قبل مقتله بقليل عن إحباط الناس في الهند ، فقال : »إن إحباطاً هائلاً يتولد بين الناس ؛ لأن النظام لا يحقق طموحاتهم«(2) ، وطبعاً هو جزء من هذا النظام ، فقد حكم هو وأسرته فترة طويلة.
إن - هروب منغستو ، وهروب سياد بري وسقوط غيرهم من المفسدين في الأرض يجعل أكثر الناس غباءً يعتبر وينزجر ، وليكن يبدو أنه قد ران على قلوبهم.

الهوامش :

1 - الحياة 22/5/91.
2- القدس العربي23/5/1991.

حوار

دور المرأة المسلمة

وجهت البيان مجموعة من الأسئلة إلى الأخت الفاضلة خولة درويش . وكان الحوار يدور حول مكانة المرأة المسلمة ودورها في الأسرة والدعوة إلى الله ، فأجابت مشكورة .

س : لا نستطيع أن نقول أن هناك مشكلة في الإسلام اسمها المرأة، لأن هذا الدين من عند الله ولا يظلم ربك أحداً ، وكل له مكانه ومكانته في حدود ما يسر له.
ولكن السؤال من ناحية واقع المسلمين، هل هناك مشكلة للمرأة ؛ وما أسباب هذه المشكلة؟

ج : حقاً لا توجد مشكلة للمرأة في الإسلام... أما من حيث واقع المسلمين ، فواقعهم يزخر بالمشكلات لكل من المرأة والرجل على السواء : من بناء الأسرة إلى طريقة الكسب ، طريقة الإنفاق ، التعلم ، العمل لخدمة الإسلام ...
والمرأة المسلمة تعيش الأوضاع نفسها التي يعيشها الرجل المسلم ، فهي بلا شك تعاني نفس المشكلات أيضاً ، يضاف لها المشكلات المفتعلة والتي يصورون سببها رئاسة الرجل للأسرة.

وفـي ظـــل الالتزام بأمر الله تعالى ، لن تكون هناك مشكلة أبداً ، وسبب ذلك أن الله تعالى خالق الذكر والأنثى وكرمهما جميعاً قال تعالى : ((ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)) شرع ما فيه خير الجميع من رجل أو امرأة ، ولا يحابي في تشريعة الحكيم أيا منهما.

هذا وإن جـعـل الـتـشـريـع الحكـيـم القوامة للرجل.. لكنه قيده بضوابط شرعية تمنعه من النكاية بالمرأة وإلحاق الضرر بها.

وفي غيبة تطبيق الشريعة الربانية تبرز الأنظمة البشرية التي تقصد مصلحة أحد الطرفين لا محالة ، وهنا فقط تكون المشكلة من تضـيـيـق عـلـى الـمرأة باسم القوامة ليحرمها من حقها المشروع.. إلى تسيب المرأة تحت دعوى الحرية والمساواة.

س : بالنسبة لمشكلة التعليم ، إلى أي حد تساهم الـمـنـاهـج الآن فـي تشكـيل عقلية المرأة وإعدادها لدورها المطلوب؟ وما هي حدود تعلم المرأة التي تتناسب ودورها وشـخصـيتها؟

ج : إن عدم إلمامي بجمع مناهج البلاد الـعـربـيـة يـجـعل الجـواب صـعـبـاً ، وفي حـدود معلوماتي فإن المناهج الحالية لها بعض الفائدة في تعليم البنات ما ينفعهن في حياتهن. لكن يعكر على هذه الفوائد كثير مما لا فائدة حقيقية منه ، بل ومآله ضرر محقق.

أما الاهتمام بدورها الأسري ، وإعدادها لـتـكـون زوجة واقعية وأماً مربية فالمناهج لا تفي بهذا المقصود المهم. أما الشطر الثاني من السؤال ، وهو حدود تعلم المرأة : فالعلم المفروض هو ما تحصل به معرفة أمور دينها التي لا يتم الإسلام إلا بها. أما ما زاد على ذلك فالمرأة تتعلم ما قدر الله لها من العلم وما ترغب فـيـه ويـتـنـاسب مع استعداداتها وذكائها ما دام ذلك بحدود الشرع. في كون العلم دون اختلاط أو خلوة.. ونـحـو ذلـك وكـذا نـوعـيـة العلم الذي تدرسه ، فالعلم الذي هو ترف فكري لا ينفعها في دينها أو دنياها ، ويعتبر مـضـيعة للوقت وتحاسب عليه أمام الله عز وجل.

ومن أكثر ما يهم المرأة المسلمة ويجب أن تسعى لتعلمه : معرفة أسس الشريعة التي تؤهلها للعبادة ، معرفة قواعد الصحة العامة ، التدبير والاقتصاد المنزلي ، أسس التربية ، وكــذا مــا ينفعها في مهنتها المشروعة (كأن تنمي معلوماتها التي تختص بالتعليم وإن كانت تعمل معلمة ، أو تجدد اطلاعها إن كانت طبيبة.. وهكذا).

س : من الملاحظ أن المرأة كان لها دور كبير في أوائل الدعوة فما دورها الآن ؟ وهل أتحنا لها أن تقوم بهذا الدور في مجتمعاتنا الدعوية المعاصرة . ومن يتحمل مسؤولية إبعادها عن هذا الدور ؟

ج : لا شك أن كل منصف يقدر للمسلمة في فجر الدعوة دورها ومساهمتها في تبليغ رسالة الـسـمــاء ، ونتطلع إلى الاقتداء بأولئك النساء الفضليات. أما

دورها الآن ، فأرى أنه شبه مفقود ، وإن وجد فهي محاولات ذاتية وقليلة للقيام بهذا الواجب الشرعي. ونرجو لهذه المحاولات أن تنمو على أسس شرعية سليمة.
أما مسؤولية إبعادها عن هذا الدور:
- فتتحـمـلـه الأوضاع الجائرة في كثير من البلاد الإسلامية.. فهي قد أبعدت الرجال عن القيام بهذا الواجب فضلاً عن النساء.
- وتتحمله الموروثات الخاطئة عن مهمة المرأة في الحياة ، حيث ينظر إليها على أنها أداة لحفظ النسل.
- وتتحمله أنانية كثير من الرجال أو ضيق أفق بعضهم ، لشعورهم بذاتهم في غيبة وعي المرأة وعملها في الدعوة.
وتتحمله المرأة نفسها ؛ إذ للأسف يصعب على البعض الموازنة بين الحق والواجب فيجمح بها الغرور ، ويحول الكبر والغطرسة التي قد يخلفها العمل دون تقدير رأي الزوج مما يحول البيت إلى جحيم لا يطاق.
وأرى أن الحل هو في التربية الإسلامية المتوازنة التي تدعو إلى إعطاء كل ذي حق حقه أولاً ، ومن ثم الدعوة إلى الخير والتناصح.
س : ضمن التناول المتطرف للأمور يأتي موضوع المرأة بين من يريدون مساواتها بالرجل في أمور الدعوة وبين من يحتصرون دورها ومهمتها في المطبخ والأثاث والملابس..الخ ما رأيكم في هذا؟
ج : إن الدعوة قد تستلزم السفر أو الخروج من المنزل ، وقد تستلزم الذهاب إلى بيوت الأخريات أو قدوم النساء إلى بيت المرأة ، كما وأنها تحتاج إلى بذل وإنفاق. وهذه الأمور جميعاً ينظمها الشرع ويجعل الرأي فيها جزءاً من قوامة الرجل على المرأة. أي أن مساواتها بالرجل في أمور الدعوة تنافي الدعوة التي تريد أن تتصدر لها.
هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن تكون مهمتها الطبخ والأثاث ونحو ذلك ، فهذه مهام تقوم بها أي امرأة أو حتى الرجل إن كان خادماً ، فلماذا أوصى الشرع بحسن اختيار الزوجة؟ وإلا ما الفرق بين امرأة وأخرى.
والناظر في دور المرأة المسلمة في هذا المجال عبر التاريخ ، يجد أنه كان لدعم عمل الرجل ، ولا يصح بحال أن يستهان بهذا الدور ، فمواساة السيدة خديجة للرسول -صلى الله عليه وسلم- في بدء الدعوة شدت أزره وأذهبت روعه حين تحملت معه المصاعب في الشعب وواسته بمالها ، فكان موقفها يعجز عنه الرجال.
فالمرأة في كونها السكن النفسي لزوجها تؤدي دوراً دعوياً مهماً. ذلك لأنه مشغول البال والفكر ، لا يمكن أن ينهض لحل مشكلاته الخاصة فضلاً عن دعوة الغير إلى الخير. وأنّى له أن يجد الراحة وقد تحول بيته إلى مكان لتنغيص العيش وإثارة الهم.

وباختصار فالرجل المسلم لا يكبتها فيحطم كيانها وبنفس الوقت لا يترك الحبل على الغارب فيفسد دينها ودنياها ، والمرأة المسلمة تعلم أن عملها في المطبخ ليس مجال أنفة وكبر ، وإنما هو مجال للثواب ، ورجلها المسلم إذا أمكنه لا يبخل عليها بإحضار بعض الآلة المريحة التي تشعرها ، بكيانها ، وتوفر جهدها ووقتها لتقوم بمهام دعوية جليلة.

س : هل تستطيع المرأة المسلمة توظيف موضوع الزيارة مع الأقارب أو الجيران أو أخواتها المسلمات دعوياً لإيجاد تطلعات إلى الحياة الإسلامية ؟

ج : إذا كانت مسلمة حقاً فبالتأكيد تستطيع ذلك وهو جزء من واجبها الديني. ذلك أن نظرة الناس إلى الدين إنما تبنى بالـنـظـــر إلى تصرفات المتدين. ودعوتها تبثها في كـونـهـــا قدوة حسنة في كريم أخلاقها ، اعتدال لباسها واحتشامه، همومها، تطلعاتها، معايشتها للآخرين ومشاركتها لهم في آلامهم وأفراحهم ، حسب ما يبيحه الشرع. كل ذلك تأتي به طبيـعـياً دون تكلف ، فضلاً عن الدعوة المقصودة في انتهاز الفرص المناسبة للدعوة والتوجيه على أن لا يـكـــون في ذلك مبالغة ، وعلى أن تراعي أحوال المدعوات وإلا كان الكلام ممجوجاً ثقيل الظل. وبالتالي تمقت المبادئ التي تدعو لها .

س:أين تقف المرأة المسلمة الآن من مؤسسة الأسرة وهموم هذه المؤسسة ؟

ج : للأسف قد تزف الكثير من فتياتنا إلى بيت الزوجية ، والواحدة منهن تحمل أوهاماً كثيرة.. تظن أنها ستذهب للراحة والتدليل ، وما درت أن هذه بداية المسؤوليات ، فقد ذهب دور الأخذ الأسري الطفولي وجاء دور العطاء العاطفي والتضحية بالراحة والرغبات لمصلحة كل من الزوج وأهله والأصحاب والجيران.. ومن ثم الأولاد.

وتبدأ المشاكل حين تصطدم الفتاة بالواقع الذي لم تهيأ له ، وقد يطول لسان المسكينه لتثبت أنها ليست بأقل من رجلها ، فتحول دون الهناءة المنتظرة ويتعلم أطفالها ذلك.

والمرأة الداعية لدينها تعلم أنها إن احترمت زوجها وأحسنت عشرته احتساباً للثواب من الله فهي في عبادة تؤجر عليها.

وإن حفظته في أهله فراعت حقهم وأحسنت إليهم ، وإن حفظته في ماله فوضعت كل درهم في موضعه المشروع فهي في عباده. وهي إن ربت أولادها فأحسنت أدبهم فهي في عبادة يبقى أجرها لما بعد الموت ، تعرف أطفالها حق الله ، وتتابعهم في أداء الصلاة ، تعودهم على مراقبة الله والعمل على مرضاته ، تعرفهم حق الوالدين ، فلا تسمح لأحد بذكر كلمة سوء عن الأب ، حتى ولو كانت في أشد حالات الغضب. وإلا فهي التي ستتلقى التهجمات من ابنها نفسه فيما بعد ؛ لأنها قد أورثته العقوق ، تحببهم في العلم ومصاحبة الكتب..

وهكذا تجعل من بيتها واحة عطرة تفوح بالخير والفضيلة في أرجاء المجتمع ، والمسؤولية للنهوض ، بالمرأة (فيما أرى) موزعة بالتساوي على أسرنا وإعلامنا ومناهج الدراسة .

س: ما هي الكتب والموضوعات التي تبني شخصية المرأة وتنميها في الأمور التي نرى أنها مهمة لها كمسلمة تعيش في ظروف المجتمعات الإسلامية الآن ؟

ج : الكتب كالدواء فكما أنـــه يوصـــف لكل مريض ما يناسبه ، ويضر به أن يعب من الصيدلية أي دواء. كذلك فلكل امرأة ما يـنـاسبها من الكتب حسب ثقافتها واستعداداتها والغاية التي تريد أن تقرأ لأجلها. وعلى العـمـــوم فالكتب التي يشترك الجميع فيها قد تكون:

- المرأة بين الفقه والقانون لمؤلفه، د. مصطفى السباعي -رحمه الله-
- كتاب الحجاب - تفسير سورة النور، لأبي الأعلى المودودي -رحمه الله-
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي.
- واقعنا المعاصر، محمد قطب -حفظه الله-
- قولي في المرأة، مصطفى صبري -رحمه الله-
- الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين -رحمه الله-
- المجلات الإسلامية كالبيان مثلاً .

س: باعتبارك تشرفين على المدارس الأهلية للبنات ، فما انطباعاتك عن هذه المدارس ؟ وما دورها في تربية أبناء المسلمين تربية إسلامية هادفة ؟

ج : للمدارس الأهلية دور كبير في التغيير الاجتماعي سلباً أو إيجاباً ، وقد عرف المبشرون والعـلـمـانـيـون ذلك ، فتخرج من مدارسهم أناس أداروا دفة التوجيه والقيادة في كثير من بلادنا الإسلامية.

واليوم ولله الحـمــــد قد أدرك الكثير من المسلمين أهمية المدارس والتربية فيها ، فنشطوا ليسدوا بعض الثغرات، وليقوموا بأمانة تربية الأجيال المسلمة، وأصـبـح كـثـيــر من هذه المدارس يـسـعى إلـى غـــرس المثل الإسلامية، والقيم الخلقية السامية رغم العقبات التي تلقاها، من قلة الكوادر المؤهلة في الإدارة والتعليم حيناً ، أو الصعوبات المالية حيناً آخر أو تدخل الأنظمة في أكثر بلدان المـسـلـمـيـن ؛ لتحد من انطلاقة المدارس الجادة نحو تحقيق أهدافها المرجوة الخيرة.

ومهما يكن الأمر فهي معقد الأمل للتربية الإسلامية المنشودة ، جزى الله القائمين عليها خيراً .

س : وأخيراً هل لديك نصيحة تريدين توجيهها إلى الفتاة المسلمة ؟

ج : نعم أرجو من كل فتاة مؤمنة أن تـكـــون على مستوى مسؤوليتها ، فالمؤامرات تحاك ضدها فلا تنخدع.

وأن تشعر أنها على ثغر خطير من ثغور الإسلام ، فلا يؤتين من قبلها.

أن ترتفع فوق جواذب الأرض والتفاهات الفارغة ، والموضات الخداعة القاتلة، لأنها ذات رسالة وأية رسالة! إنها إعداد الأجيال المؤمنة ، لَبِنات الحياة الإسلامية ، والمجتمعات الجادة على طريق سلف هذه الأمة وما ذلك على الله بعزيز.

تربية

من وحي التربية النبوية للأطفال

مؤمنة الشلبي

إذا كـانـت مـعـظـم الحضارات السالفة التي ازدهرت قبل ظهور الإسلام ، قد عرفت ألواناً مـتـعـددة من التربية طبعت حياتها بطابع يعكس فلسفة كل أمة من تلك الأمم.. فإن الأمة الإسـلامـيــة قــد انفـردت عن غيرها من الأمم بنظام تربوي متميز قادر على تكوين أجيال مـسـلـمـة مـتوازنة ، قادرة على تحمل المسئولية الكاملة في تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ولقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - هو المربي الأول الذي قام بهذه المهمة التربوية فرسم نماذج تـربـويــة لـلـطـفـولة لم يسبق لها مثيل في عالم الرعاية بالأطفال ، حيث كان يـشــرف بنفسه وبأسلوبه الفريد في تنشئة تلك البراعم التي لم تتفتح ، والأغصان التي لم يشتد عودها بعد.

ولم تكن هذه التربية النبوية قاصرة على مـن يعيش في كنف النبي الكريم -صلي الله عليه وسلم- ، أو من يعيش تحت سقف بيته ، بـل كـان ذلك مبدءاً تربوياً ينتهجه لأمته عامة ، ويرسخه لكل الأجيال من بعده ليقتفوا أثره ويـسـيـروا على منهجه التربوي عملاً بقوله تعالى : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخِرَ)) [الأحزاب:21].

ولو تتبعنا مراحل المنهج التربوي النبوي في عالم الطفولة لرأينا أن مرحلة التربية تبدأ منذ أن يكون الطفل سراً في عالم الغيب ، وذلك ليضمن الأصـل الـصـالـح ، والـمنبت الطيب ، والمحضن الأمين ، فدعا الزوج لاختيار الزوجة الصالحة التي ستكون مصدر عـزة الطـفـل ومربيته على الفضائل.

فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »تخيروا لنطفكم ، فأنكحوا الأكفاء وانكحوا إلـيـهـم «(1) وقـال -عليه السلام- : »تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظـفـر بـذات الـديـن تربـت يـداك«(2). كما دعا -عليه الصلاة والسلام- المرأة وبنفس القوة إلى إيثار الزوج الصالح الذي سـيـكـون أبـاً لأطفالها وقدوتهم ومصدر عزتهم ، فقال تعالى: ((ولَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ولَوْ أَعْجَبَكُمْ)) [البقرة:221]. كما قال -صلى الله عليه وسلم-: »إذا جـاءكـم من ترضون دينه وخلقه فأنكحـوه إلا تفعلوا

تكن فتنة في الأرض وفـســاد ، قـالـوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟؟ قال: إذا جـاءكـم من ترضون دينه وخلقه فـانـكـحـوه .. ثلاث مرات«(3)، وما أن يتم عقد الزوجية حتى يتمثل الزوجان قول الله عز وجل: ((رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إمَاماً)) [الفرقان:74].
وقبل المباشرة يردد الزوج ما أرشده إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- :" »بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا«" متفق عليه.
وهـذا مـن بــاب الأخــذ بأسباب التربية الصالحة التي تبعث في الزوجين الطمأنينة على مستقبل أطفال أصحاء روحياً وجسدياً.
وما إن تستقر النطفة في رحم المرأة ، وتبدأ مرحلة تكوين الجنين في بطن أمه حتى يوصي الإسلام بالعناية بالحامل عناية كبيرة من أجل سلامتها وسلامة جنينها ، فيأمرها بالأخذ بالأسباب العلاجية ، والوقائية ، والنفسـيــة ، والروحية ، لدرجة أنه يعفيها من فريضة الصيام أثناء الحمل (4) ، كما أنه يحثها على قراءة القرآن ، والدعاء المستمر ، فقد أثبتت التجارب العلمية والعملية أن المرأة المتزنة، والمطمئنة نفسياً ، يتصف وليدها بطبيعة هادئة ومتزنة على عكس المرأة المضطربة نفسياً والتي تمارس العادات السيئة.
وبـعـد الـولادة حـيث يستقبل الطفل بالفرح والبشارات ومع بداية هذه المرحلة الهامة من حـيـاة الـطـفـل الذي يكون فيها جاهزاً لكل ما يعرض عليه من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الـصـفـات ، سنَّ لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن نبدأ هذه المرحلة بغرس جذور الـعـقـيدة وكلمة التوحيد والشهادة من خلال الأذان في أذن المولود اليمنى. فقد أذن النبي الكريم في أذن الحسين بن علي ، فعن عبيد الله بن أبي رافع قال : »رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة«(5) .
وحين يبلغ الطفل يوم سابعه يوصي الرسول -صلى الله عليه وسلم- بتكريمه والاحتفاء به حين يقول : »مع الغلام عقيقته ، فأهريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى« (6).
فـيـأكـل الفـقـير والأقارب من هذا الاحتفال بقدوم المولود ، ويحلق شعره ليماط الأذى عن رأسه ، ويـتـصـدق بوزنه من الفضة على الفقراء ، والمساكين ، والمحتاجين ، فقد قال -صلى الله عليه وسلم- لابنته فاطمة -رضي الله عنها - حـيـن ولـدت الحسين : »احلقي رأسه فتصدقي بوزنه من الورق على المساكين«(7).
وفي هذا اليوم أيضاً ندب -عليه الصلاة والسلام- تسمية الطفل واختيار الاسم الحسن له حيث قال -عليه أفـضـل الصلاة والسلام- : »أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله ، وعبد الــرحــمـن«(8)، فـكـانت هـذه أيضاً مكرمة للطفل تساعده على الابتهاج حين يدعى باسم حسن، وتجنبه الاعتزال والخجل فيما لو أسماه اسماً قبيحاً.

ومن أجل ذلك حرص - عـلـيه الـسلام - على إبدال الأسماء القبيحة بأسماء حسنة ، كما بين لنا أحب الأسماء وأصدقها ، وأقبحها.
وهكذا تتدرج العناية بالطفل والاهتمام به ، وتربيته بكل أنواع التربية الشاملة من خلال توجيهات نبوية كريمة في كل مرحلة من مراحل نمو الطفل نفسياً ، وجسدياً ، - بدءاً من التربية العقدية السليمة ، ومروراً بالتربية الاجتماعية والخلقية ، والعاطفية.
ولكن المهم الذي لا بد من ذكره أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان نموذجاً فريداً للأبوة الكريمة في حـيــــاة البشرية. يفرح بقدوم الأطفال ، ويشارك في اختيار أسمائهم ، ويحنو عليهم فيمازحهم، ويلاعبهم، ويضمهم إلى صدره الكريم ، ويقبلهم بفمه ، فإن هذا يعطيهم الجو النفسي للحياة الإنسانية السوية ، رحمة ، وحباً ، وإخاء .
وبـذلـك كـــان من ثمار هذه التربية الفذة أن أنشأت جيلاً مثالياً حقاً في إيمانه، وعبادته، وتفكيره ، وأخلاقه ، ومعاملته.

الهوامش :

1- سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 1067 .
2- حديث متفق عليه أخرجه البخاري في النكاح (9/115) ومسلم برقم 1466.
3 - أخرجه الترمذي برقم 1085 في النكاح ، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه .
4- (البيان) : الإسلام لا يعفي المرأة الحامل من الصيام إلا إذا خافت على نفسها أو ولدها من الضرر. فالأمر مقيد والله أعلم.
5 - أخرجه أحمد في المسند (6/9) وأبو داود برقم 5105 والترمذي برقم 1514 وقال : حسن صحيح.
6 - أخرجه البخاري (9/509) كما في الفتح ، وأبو داود برقم 2839 والترمذي برقم 1515.
7- أخرجه أحمد (6/290 و 292) والبيهقي في سننه (9/403) وسنده حسن.
8- أخرجه مسلم برقم 2132.

ركن الأسرة

عرض لكتاب كيف تخشعين في الصلاة

تأليف : رقية بنت محمد بن محارب
عرض : سمية عبد العزيز

لـقـد أنـسـانا هـذا العصـر المادي - عصر السرعة والجري المتواصل - الغرض من الصلاة، فالكثير منا يصلي ، والقليل منا يخشع مع الأسف الشديد.

نتساءل: مـا مـعـنـى الخـشـوع؟
ومـا الهـدف من الخـشـوع؟ ... والأهـم مـن هـذا كـيـف يـتـحـقـق الخـشـوع؟ نجد الإجابة عن هذه الأسئلة في هذا الكتاب : »**كيف تخشعين في الصلاة**«.
الكتاب يقع في حوالي الثمانين صفحة من القطع المتوسط ، خمسة موضوعــات رئيسية بعد المقدمة.
وقد خصص الموضوع الأول منه في فضل الخشوع ، ثم تلاه الثاني في ذكر الخـشـوع قــبــل الصلاة ، ثم الاستعداد للصلاة قبل الصلاة ، ثم في أثناء الصلاة وأخيراً : خشوع السلف.
وعـنـد حـديـث الـمـؤلـفـة عـن أصل الخشوع ذكرت قول ابن رجب : »لينُ القلب ، ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره ورقـتـه ، فـإذا خـشـع القـلـب تـبـعـه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له«.
ثم تقول : »والخشوع يتأتي غالباً للعبد إذا ما بذل أسبابه ، كما أن القلب يقسو ويغفل إذا ما تركت أسباب الخشوع«.
وبعد ذلك يمضي الكتاب ذاكراً أسباب الخشوع ، حيث يخص مـوضـوعـاً لـذكـر ما يجب فعله استعداداً للصلاة قبل الصلاة. ثم يذكر ما يجب على المصلي أثناء الصلاة.
ففي هذا الموضوع تقول : »أول ما يبدأ به المصلي تكبيرة الإحرام أما كيفية الخشوع بتكبيرة الإحــرام فـإن عـلـيك أيتها المصلية أن ترفعي يديك حذو منكبيك أو حيال أذنيك متوجهة بباطن الكفين إلى القـبـلـة ممـدودة الأصـابع ضـامـة لهـا ، تشـعـريـن وأنـت بـهـذا الحـال بالاستسلام التام لرب العباد ، واستشعري أنك إذ ترفعينها تستسلمين لله الذي خلقك وهو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه سبحانه ، كيف بمن الأرض جميعاً قـبـضـته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، يأمرك أن تستسلمي وتقفي بين يديه ذلاً وخضوعـاً لـه ، رافـعـة يـديـك مـعـلـنة التسليم التام له. متخلية عن كل شيء في يديك أو تملكينه ، فالأمر أعظم من أن تتمسكي بـشـيء مـن أمور الدنيا ، فهذا وقوف بين يدي من بيده كل شيء كيف يمر عليك التكبير والمال هكذا بسهولة.
ثم تنطلق كلمة التسبيح والحمد لمن هذا شأنه ، فـتـقـولـيـن : »سـبـحـانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك«.
وأنت في قيامك هذا تقفين موقف الذليل الخاضع ، تضعين يدك اليمنى على اليسرى على صـدرك بـكل استكانة لمن أوقفك هذا الموقف ، وسيوقفك الموقف الرهيب يـوم الـقـيـامــة ، تنظرين إلى موضع سجودك بكل إطراق وتفكر ، فما توردين من ألفاظ مقتدية بنبيك محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي كان إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض.

تخشين أن ينصرف الله عنك وتستحضرين قوله -عليه الصلاة والسلام- : »فإذا صليتم فلا تلتفتوا ؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت« ، وقوله : »لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا صرف وجهه انصرف عنه«.
ويمضي الكتاب في ذكر الأسباب الجالبة للخشوع أثناء الصلاة سواء في القراءة أو في الركوع أو في السجود أو في التشهد ، ثم تذكر الأذكار التي تقال بعد السلام.
هذه نبذة يسيرة علها تكون دافعاً لقراءة هذا الكتاب القيم.

إعلام

قليلاً من العاطفة ...
ودعونا نفكر أكثر!

أحمد بن راشد بن سعيّد

بعد غزو صدام للكويت كان الرد الإعلامي في الدول العربية المستهدفة من الغزو عاطفياً إلى حد كبير .. وكانت الصحف والمجلات لا تكف عن نقد صدام حسين والتشهير به .. وأغفلت كثيراً التحليل الموضوعي ، والمعالجة المنهجية للأزمة.
وقـد يـكـون مـفهوماً أن يستجيب الإعلام عاطفياً للأزمة في أيامها الأولى ، فيبدي امتعاضه واستهجانه للغزو والقائمين به ، ولكن هذا لا يكون هو الشغل الشاغل للصحافة طوال أيام الأزمــة .. وقـد لاحظـنا كماً هائلاً من رسوم (الكاريكاتير) الساخرة بشخص صدام حسين، وقصائد نبطية تملأ أعمدة الصحف .. وكان استمرار نشر هذه الرسوم والقصائد بعد انقضاء الأيام أو الأسابيع الأولى للصدمة أمراً لا يخدم القضية .. وكان الأولى هو تنبيه الرأي العام إلى أن الـقـضـيـة لـيـسـت شـخصاً يظهره (الكاريكاتير) على أنه حيوان أو مجنون ، وإنما القضية قضية حكم فردي دموي جائر ، يتبنى طروحات وعقائد دخيلة على المسلمين.
كانت مساحات التحليل والنقاش، ومعالجة أسباب الأزمة واستقاء الدروس محدودة جداً، وتكاد تكون غائبة إذا قورنت بمساحات الغضب والانفعال والتهكم بحكم العراق ومؤيديه.
غـيـر أن هـنـاك نـوعــاً من الإعـلام بـرز خلال الأزمة، واتسم بالموضوعية والتعقل والطرح المتوازن، وهو إعلام المساجد أو الخطب والمحاضرات التي ألقاها بعض المشايخ وطلبة العلم حـول الأزمة .. وقد استقطب هذا الإعلام اهتمام الجمهور، وكـسـب احـتـرامـه، مما حفز كثيراً من الناس لتسجيل أشرطته وتداولها .. لكن بعض الصحفيين والكتّاب الذين تسوقهم الـعـاطـفـة

أكـثـر مـن الـتـفـكـير التحليلي أو المنهجي، لم يعجبهم انتشار وشعبية الإعلام »المسجدي« ، وحاولوا مقاومته والتحريض عليه باسم العقلانية والمنهجية ، وكان أحد هؤلاء الدكتور عبد الله الفوزان .
فقد كتب الدكتور في مجلة اليمامة (العدد 1123 7ربيع الأول 1411هـ) ، مقالاً عن أزمة الخليج بعنوان : »كفى عواطف .. ودعونا نفكر« .. حـذر فيه من خطورة ما وصفه »بالإعلام السري« الذي »يتسرب في الظلام فلا يراه أحد«.. ومثل له »بالأشرطة«..وعزا انتشار هذا النوع من الإعلام إلى ضعف ما وصفه »بالإعلام العملي الرسمي«.
ووضح الدكتور الفوزان رأيه أكثر فقال: إن أحاديث بعض الإخوة في (المساجد وحلق الذكر والـمـجـالـــس الخاصة) »لا تصمد للعقل الفاحص« و»تحمل قدراً كبيراً من الخطر على بعض الـسـامعين البسطاء الذين يثقون أكثر مما يفكرون«.. وعبارات الدكتور تشير بشكل واضح إلى أحـاديـــث لـبعض المشايخ وطلبة العلم حول الأزمة ، وتحذر من تأثير سلبي محتمل لهذه الأحـاديــث على عامة الـنـاس ، لسبب جوهري وهو »مصداقية« هؤلاء المشايخ وتقبل الناس لكلامهم. ودعــا الـفــوزان إلى مناقشة آراء هؤلاء في وسائل »الإعلام العقلي« ، حتى يتحصن الناس ضد ما وصفه »بالآراء الخاطئة والتحليلات البعيدة عن الصواب ، التي يبثها الإعلام العقلي السري«.
وقد تجاهل الفوزان - تحت تـأثــيـر عاطفـته المحضة - أن المساجد كانت ولاتزال أماكن اجتماع المسلمين ، وملاذهم في الخـطـوب ، يناقشون فيها مشكلاتهم ، ويقترح فيها العلماء والـخـطـبـاء حـلـولاً لـهـذه المـشـكـلات، صادرين عن أصلين عظيمين هما الكتاب والسنة، ومسـتـشهدين بالتاريخ والآثار وأحوال الأمم الغابرة والحاضرة .. فإذا كان الدكتور قد عنى بـالإعـلام الـعـقـلـي التحليل الموضوعي، والنقاش المبني على المسببات والنتائج، والحلول والــدروس، فـإن المسجد هو المكان الأصلي والطبيعي لمثل ذلك، إذ أنه أقدم وأشهر وسيلة إعـلامـيـة في الـتـاريـخ« الإسلامي .. وهذا بالطبع لا يعني التقليل من أهمية وتأثير الإعلام الحديث ، إذ ينبغي أن تعمل الصحيفة والإذاعة والتلفزيون جنباً إذ جنب مع المسجد في أداء وظيفة الإعلام والاتصال وتبادل وجهات النظر.. ولا ضير أبداً من حديث أهل العلم في المساجد وحلق الذكر ، ولا خوف على الناس عامتهم وخاصتهم من ذلك ، بل الخوف هـو مـن هـذه الـنـظـرة الدونية إلى إعلام المساجد ، والتي تقلل من فرص الإبداع والحوار، والمشاركة الجماعية ، وإثراء الرأي العام.
والغريب في الأمر أن الدكتور وأمثاله من دعاة العقلانية والمنهجية، يدعون إلى تكرير هيمنة إعلام واحـــــــد فقط، ويحذرون من آثار سلبية مزعومة للإعلام الأصلي النابع من ديننا وحضارتنا ، وهو تحيز يقف بلا شك ضد العقلانية السوية!

إن عبارات »الإعـــــلام السري« الذي »لا يصمد للعقل الفاحص« و»يتسرب في الظلام فلا يراه أحد«.. هي عبارات مشحونة بالعاطفة والهوى ، وليس فيها من العقل الفاحص ولا الناقص ذرة .
إن الدعوة ينبغي أن تكون لتوسيع نطاق الاعلام »المسجدي« والسماح له بإثراء الرأي العام ، وتصحيح الأخطاء القائمة.. كما ينبغي أن تكون لتصحيح مسار الصحافة المغرقة في التنفيس العاطفي،وتوجيهها لكي تفسح مساحات أكبر للنقاش الموضوعي، والنقد الذاتي، ووجهات النظر الأخرى.
لقد كـــشـفـت أزمـــة الخليج عن ضحالة كبيرة في الإعلام العاطفي وضيق أفق لدى بعض أربابه، لا الذين يريدون وأد أصـــــوات العقل والعاطفة ، المنضبطة بحدود الشرع.. كما كشفت عن قدرة الإعلام المسجدي (الـذي تتميز به الأمة الإسلامية) على الاتصال بالناس ، والحوار معهم ، وتحفيز مشاركتهم ، وتوعيتهم وتثبيتهم.
بقي أن نقول : إن مهمة الاتصال بالمجتمع ليست حكراً على مؤسسة واحدة ، ولا »دكتور« أو »رئيس تحرير« بعينه ، لا سيما إذا كانت الآراء التي يراد إيصالها شاذة مستوردة ، ومن النوع التحريضي العاطفي الصرف.
قليلاً من العاطفة إذن..
ودعونا نفكر أكثر !

مفارقات

المواعيد

د. خالد الموسى

سبحان الله لقد أصبح مثلاً أن يتخاطب شخصان عن موعد بينهما بتساؤلات غريبة:
هل هذا الموعد عربيٌ أم افرنجي؟
ذلك لأن الموعد العربي (حسب زعمهم) متصف دوماً بالتأخير واللامبالاة والاستهتار ، بل والإخلاف بالوعد على نقيض الموعد الإفـرنـجـي أو الانكلـيزي بالتحديد الذي يعني دوماً وللأسف دقة الموعد وضبطه.. حتى صار مجالاً للمدح والإطراء..
إنه لمؤسف جداً أن يتسم أعداء الإسلام ببعض صفات الخلـق الاجـتـمـاعـي كالوفاء بالوعد والالتزام بالاتفاق وأقول للحق إن هذا الأمر فيما يخص المواعيد واللقاءات وتحـديـد الـزمن فيها موجود عند غالبيتهم العظمى..
ومـقـارنـة لهذا النظام السائد بينهم وبين غيرهم نجد العكس تماماً فغالبية شعوبنا لا قيمة للوقت عـنـدهـم .. سواء تأخر الشخص ساعة أو ساعات أحياناً أو يهمل الموعد وينساه أو يتناساه ، وما أكـثـر ذلك.. وسيان عنده الأمر إن

حضر للموعد والتزم بالوقت أو تأخر أو غاب عنه وتخلف.. ويقول لك : ماذا يعني هل خربت الدنيا واندثر العالم بهذه المخالفة وهذا التأخير.. فيأبى في أعماق نفسه حتى عن الاعتذار وإظهار الأسف عن التأخر أمام الآخرين مراعاة لشعورهم وأحاسيسهم وتحرجهم وإحراجهم من هذا التأخير وهذا الارتباط بالموعد..

نسي الكثيرون أن الوقت ليس ملكهم خاصة .. وأن المواعيد ملك للمتعلقين بهذا الوعد .. وقد يترتب عليها مفسدة بل مفاسد وأضرار تضر بالمصالح العامة أو الشخصية.. قد تلغي أو تؤجل اجتماعات .. وقد يترتب عليها خسارات مادية واعتبارات شخصية.. وخلل اجتماعي... ويكفي أن يتصف هذا الشخص أو ذاك بأنه كذاب وأنه يخلف الوعود.. وهذه صفة من صفات المنافقين.. يقول -عليه الصلاة والسلام- : »آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان«.

وللإنصاف نقول من جهة أخرى: ما زال البعض وخاصة من حملة الرسالة وحملة الدعوة الصادقين الملتزمين يحترمون هذه الأوقات ويلتزمون المواعيد والارتباطات ويحثون الناس على احترام المواعيد والمواثيق. وتجدهم أسوة حسنة ومرآة ناصعة أمام الجميع.

إنها لمفارقة عظيمة أن نستمر في هذه الفوضى وأن نعيش بعيداً عن معتقداتنا ومنهجيتنا وسلوكنا القويم وتربيتنا الصحيحة السليمة. إنها لمفارقة أن نعترف لأعدائنا بأنهم يتسمون بالنظام وضبط المواعيد ولأنفسنا بالفوضى واللامبالاة والتخلف عن الموا عيد ..

مفارقة أن لا نحاول ترك الكذب والمراوغة في حياتنا وسلوكنا اليومي وأن ندع الآفات الاجتماعية برمتها تتراكم متثاقلة فوق أجسادنا وترسخ بكامل وزنها وثقلها فوق عاتقنا حتى توصلنا إلى مرحلة اليأس من التغيير ، والإذعان للأمر الواقع.

انه لجديرٌ بنا ونحن أمة القرآن وأمة الإسلام أن نسترد عزيمتنا ونقوم سلوكنا ونربي أنفسنا ونغير منهجنا لما لا يرضي الله عز وجل ووفق منهج الحق ، والصلاح والاستقامة وأن ننشئ الجيل القادم على الفضيلة والصدق والوفاء وأن نتمثل ذلك فينا لنكون قدوة حسنة وأسوة طيبة.

إنه لحريٌ بكل منا أن يغير ويبدأ الإصلاح بنفسه ويعاهد الله بالالتزام بالمواعيد والتقيد بها بدقة أن تجاهد نفسه على تنظيم أوقاته ، وارتباطه مع الآخرين ، ووالله سيجد لذة ومتعة حينما يجد نفسه التزم مع الآخرين والتزم الآخرون معه ، وعرف قيمة الوقت وتنظيم الساعات.. وهذا لا يكلف الكثير.. مرات ومرات من المحاولة والاعتياد. فيجد نفسه سار في درب النظام وتعود على دقة المواعيد وأصبحت جزءاً من حياته اليومية وأصبح قدوة لغيره.

قال تعالى:((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)).

منتدى القراء

أزمة الخليج .. حولها ندندن

عبد الحليم صالح البراك

مع أن هذه الأزمة كانت فتنة ، ولكن قد تلوح الحمرة قبل الفجر ، وأمل المسلم بالله كبير.
إن الذين حاولوا استخدام الدين لمصالحهم الشخصية، أو لإبعاد تأثيرات الأزمة إنما كانوا يـعـلـمـون أن الإسلام في الحقيقة هو محرك الشعوب، وهو الذي يهز المشاعر وقبل هذا ما كانوا يأخذون رأي الدين.
حتى أن (بوش) حاول إبعاد الدين عندما قال: »الحرب ليست حرب أديان أو حرباً مقدسة .. ، وذلك لعلمه بتأثير الدين وكل يتكلم من زاويته التي يراها مناسبة.
إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، وما جـاءت هـذه الفـتـنـة إلا لأن الصحوة الإسلامية عمّت واشتد عودها واستوت على سوقها ، واشتدي أزمة تنفرجي ..

ضوء في طريق الغرباء

بـدأ الـوحـي مع رسـول الـلـه -صلى الله عليه وسلـم- بـتـلـك الهـزة الـشـديـدة العـنـيـفة ، وكـأنـها تـهـيئة لـه -صـلى الـلـه عليه وسلم- لاستقبال ذلك الأمر الضخم ليكون -عليه الصلاة والسلام- في قمة الانتباه والصحو.
ثـم يـأتـي أول أمر ، أول تـوجـيه ، أول كـلام الـلـه عز وجل إلى رسوله الكريم وإلى البشر أجمـعين ((اقْرَأْ)) ، يأتـي دعـوة قوية للقراءة والعلم.. قراءة الكون والحياة ، قراءة الإنسان والكائنات ، قراءة السنن والأوضـاع والأحـوال.
قراءتها على هـذا النحو ((بِاسْمِ رَبِّكَ الَذِي خَلَقَ)) باسـم الـلـه سبـحانه الخـالـق المـبـدع ، اقرأ هـذه الآيـات ولـكـن بالنـظرة الجديدة بالإخـلاص الـكامـل والـتجـرد لله الواحد ، اقرأ كل هذه الآيات ولكن من خلاله سبحانه بالتصور الذي يوحيه ويرضاه ، اقرأ وزن ولكن بميزان الله ، وانظر وشاهد ولكن من خلاله سبحانه.. إخلاص كامل ، ونقلة بعيدة..
هذا هو الطريق وتلك أولى خطواته ، طريق تقوم خطواته منذ بدايتها على الجادة واليقظة والانـتباه بـل على قـمة هذه المعاني تسير يدفعها الإخلاص والتجرد لله سبحانه.. هذا هو الطريق إخواني فهل نحن سائرون؟!
نعلم إخواني إن الاستمرار على الجادة شيء صعب ، وإن الارتقاء ومداومة اليقظة والصحو شيء كذلك صعب يحتاج إلى عزيمة لا تنضب، كما أن الإخلاص ومتابعة النفس وشهواتها والتجرد لله تعالى شيء يحتاج إلى صلة

دائمة بالله تبارك وتعالى وذكر دائم ، وأن كل هذا في إجماله يحتاج إلى صبر لا ينفذ.
لـهــذا فأول ما يحتاج إليه الإنسان بعد أن يضع قدمه على الطريق ويخلص النية والقصد ذلك هـــو الـزاد.. فـتـعـالــوا معي إخوتي لنرى ما الذى وجه الله تعالى إليه نبيه الكريم ليستطيع حمل التبعة والأعباء العظام. تعالوا لنرى ثم لنحاول أن نحمل أنفسنا على مثله، عسانا نصدق في اقتفاء الأثر الكريم لذي الخلق العظيم على درب رب العالمين. في محاولة لبعث الأمة من جديد بعد إزالة الغربة على طريق التمكين لدين الله ربنا رب العالمين.
كان من أول التوجيهات تلك الـتـي جاءت في أول سورة المزمل وأول سورة المدثر ، فكانت دعوة إلى قيام الليل والتهجد ، وترتيل القرآن الكريم كلام الله رب العالمين ، وكانت دعوة لذكر أسماء الله وصفاته والتسبيح والـتـبـتـل إليه والخضوع لجنابه ، وكانت دعوة للتوكل عليه والخلوص إليه سبحانه فهو مالك الملـك رب المشرق والمغرب بيده الأمر كله وهو فعال لما يريد ، ثم كانت الدعوة إلى الصبر والاحـتمـال ، هذا مع الإعراض عن سبيل المجرمين وفي الحقيقة أن كل هذا من قيام وترتيل وذكـر وتبتل وحسن توكل يحتاج إلى صبر تتقاصر دونه الهمم الضعيفة وترتعد منه الأوصال الهــزيلة في حين أن من يقوم بتلك الأعمال فإنه يزداد يقينه وتثبت أقدامه وبالتالي يزيد صبره فـهي حلقات يسلم بعضها إلى بعض ، وهي في مجملها الزاد والنبع الذي لا ينضب.

آخر يوم في حياة الداعية

سعيد بن محمد القحطاني

إن الدعاة إلى الله لهم منزلة من أعلى المنازل ، ذلك لأنهم لا يستوحشون من قلة السالكين ولا يـغـترون بـكـثـرة الهالكين ، عرفوا أن الأمة الإسلامية جاء دورها لتحقيق ما أراده الله مـنهـا ، وإذا كان الـداعـية بهذه المثابة فما هو آخر يوم في حياته؟ إنه اليوم الذي يتخلى فيه عن أعز ما يملك ، يتخلى عن دعوته إنه يوم مظلم قاتم ، لأن سقوط الداعية سيتعدى ضرره إلى غيره ويثقل كاهل الدعـوة ويـزيد مـن أعبـائهـا ، عدا ما تحدثه هذه الظاهرة من شروخ وتصدع في بنية العمل الإسلامي ، ولعلي أذكر سبباً من أسباب هذا النكوص فمنها:
1- ضعف في الجانب التربوي حتى تطغى الجوانب الإدارية والسياسية على كل شيء مما يجعل الإداريين مقطوعي الصلة بالتربية والشؤون التربوية نظرياً وعلمياً.
وهنا يبرز صنف يقال عنهم بأنهم فوق التربية إنهم تجـاوزوا مـرحلـة التربية ، وهذا غير صحيح.

2- عدم وضع الفرد المناسب في المكان المناسب مما يؤدي إلى الفشل أو الخسارة.
3- عدم متابعة التأهيل التربوي إما تكاسلاً أو أن القاعدة العريضة من الجماهير أكبر من الإمكانيات.
4- طبيعة غير انضباطية ، فهو لا يطيق القيود ، ويريد المحافظة على كيانه وشخصيته كما هي وما فيها من عيوب ونقائص.
5- الوهن والخوف على الرزق ، أو حب الدنيا والتكالب عليها.
6- حب الظهور وقديماً قـيـل »حـــــب الظهور يقصم الظهور« وهذا الغرور يقوده إلى التطلع للرئاسة ويرى أنه أفضل الموجودين.
7- ضغط المحن والأهل والأقربين.
وأخيراً لابد من ذكر بعض القواعد الهامة:
1- إن الداعية لا يسوغ له أن يمنح نفسه إجازة من العمل للدعوة.
2- إن من سن سنة الله عز وجل أن هذا الدين لا يتحقق في واقع البشرية إلا بالجهاد البشري ، وذلك يجعلنا نسعى دائبين لتحقيق هذه السنة الربانية.
3- إن هذا الدين عزيز وغال لا ترتقي إليه همة الضعفاء العاجزين.
4- إن الله تكفل بحفظ هذا الدين ولو كره الكافرون ، طال الزمن أو قصر.
5- إن نكوص البعض عن الدعوة لا يزيد النفوس المؤمنة إلا مضاء وثباتاً ، وهذه هي طريق الأنبياء.

ظلم الكتاب ومؤلفه

أبو مالك - الأردن

الـتقـيت قبل مدة بمجموعة من الشباب الطيب ، الذين نحسبهم يحبون الدعوة ، ويبذلون في سـبيـلها كـل غال ورخـيـص (ولا نزكي على الله أحداً) ، فأحببت أن أقدم إليهم كتاباً قـيماً يستفيدون منه في حياتهم الدعوية ، فسألني أحدهم عن اسم المؤلف فقلت : فلان بن فلان وبـعد أن علـم أنـه غـضب وقال : ألا تعلم من هذا إنه كذا وكذا ، وبدأ يذكر مساوئ ذلك المؤلف ، قلت له متـسائلاً: أقـرأت للمؤلف كتاباً ولاحظت فيه تلك الأمور ؟ قال: لا فأنا لا أقرأ له ولكن سمعت فلاناً يقول ذلك.
عـند تـلـك الـلحظة تذكرت ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- في قصة الشيطان الذي حـاول أن يسرق من مال الصدقة ، أنه قال لأبي هريرة »إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح« ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : »أما إنه صدقك وهو كذوب«.
وكان مما يستفاد من ذلك الحديث أمرين :

الأول : أن أبا هريرة -رضي الله عنه- ، قد استفاد من الشيطان ، وهو شيطان رجيم مدحور مذموم ، فكيف الشخص يترك مؤلفاً لا لسبب ، إلا لأن أحدهم قد ذم المؤلف أمامه!! فكيف إذا كان هذا المؤلف من الدعاة الصادقين ولكن بعض الناس لجهل أو لحسد يتكلمون فيه. اللهم هذا ظلم لا نرضاه.
الثاني : أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد وقف وقفة الحق فقال قد صدقك في هذه يا أبا هريرة ولكنه كذوب.

أخبار حول العالم

زار تونس في الأيام الأخيرة الجامعي الفرنسي المختص في العلوم السياسية الأستاذ موريس ديفيرجيه ، وشارك في الندوة التي انتظمت هناك عن : »التحولات الديمقراطية في العالم اليوم«. وكان ديفيرجيه المتدخل غير العربي الوحيد الذي تعرض للحركات الإسلامية في أحد تعقيباته التي استرعت الانتباه. قال : »إن ظاهرة الحركات التماميةِ« (Integrisme) المتنامية عندكم (يعني في المجتمعات الإسلامية) تشبه كثيراً ما عاشته أوروبا خلال الفترة الفاصلة بين الحربين عندما برزت على السطح الحركات الفاشية والنازية أو الستالينيه. وقد انتهت هذه الحركات إلى القضاء على الديمقراطية. لهذا أرى أن مسألة الاعتراف بالتنظيمات الإسلامية الأصولية مرهون بحجمها. فإن كانت محدودة التأثير صغيرة الحجم فلا خوف من تشريكها. لكن إذا بلغت من النمو ما من شأنه أن يهدد ميزان القوى السائد، يجب إقصاؤها، حتى لا تستفيد من النظام الديمقراطي الذي تؤمن به. (مجلة منبر الحوار).
تعليق : ويبدو أن حكومة تونس قد أخذت بهذه النصيحة الغالية التي يقدمها »ديفيرجيه« وتعمل بكل أمانة على وضعها موضع التطبيق،وبقدر قيمة الناصح يكون الحرص على تطبيق نصيحته ، ولا أحد أعز ولا أليق من أن توضع نصائحه على الرأس والعين - عند علماني تونس وتلاميذ بورقيبة من رجل فرنسي المولد والنشأة والهوى.
في تونس اكتشفت مصلحة الجمارك شبكة لتهريب الذهب إلى روما وباريس ويشرف على هذه الشبكة يهود في داخل تونس ، ويهود أوربيون وكانوا يجمعون الذهب في جزيرة جربة ، ثم يصدرونه إلى إيطاليا وتتوقع الحكومة أن يكون هناك عدد أكبر من هذه الشبكة ضالعين في العملية.
الأسبوع العربي 15/4/91

الصفحة الأخيرة

مثل البالون المثقوب!

حسن القارئ

تـعجبت من أمرنا.. وأنا أسمع يوماً خطيب الجمعة يخطب وقد انتفخت أوداجه واحمرت عـيناه من الغضب والحماس..وجزاه الله خيراً على ذلك.. إلا أنني فكرت في الأمر فوجدته لا يـعدو أن يـكون مثـل النـفخ فـي بالون مثقوب..وأعني بذلك أن من عادة الناس أن يقف بـعضـهم حمـاساً وتجاوباً مع الخطيب وهو يخطب.. ولكن سرعان ما يخبو ذلك الحماس ، كما يخرج الهواء من ثقب في بالون منفوخ..

والأمر في الحقيقة له جانبان :

الجانب الأول : الخـطـيب نفسه.. فـهـناك فرق بين خطيب معلم مربي وبين خطيب جل أمره انتفاخ أوداج واحمرار عينين...

فالأول يسير في أمره بحلم ورفق وأناة.. يرسم إطاراً ومنهجاً ثابتاً يكون ارتفاع الحماس فيه وانخفاضه ضمن ذلك الإطار وذاك المنهج.. فـيشد الحـبل مـتى أرخوا ويرخي الحبل متى شدوا.. خشية أن ينقطع.. فلا يعود يستطيع توصيل وإبلاغ الحق.

والثاني..يسير في أمره نتيجة انفعالات وانبعاجات نفسه.. فـإن أصيـب بإحبـاط نـقـل فـي خـطبـته مـشاعر الإحباط .. وإن أصيب ببلوى في نفسه أو أهله أو ماله صور الدنيا وكأنها دار خربة لا خـير فـيها.. وإن طابـت نـفسه وزان عيـشه تـوردت وجنـتاه وطـابـت كلماته وخفت وطأتها على النفوس...

والجانب الثاني .. السامع للخطيب.. فهو إما موسوس يظن الخطيب يعنيه ، وإما عاطفي يـلهـبه الحـماس وليس بعد الخطبة عمل فسرعان ما يخبو ، وهؤلاء كثير ، وإما ناقـد لا يعجبه العجب ، أو عـاقل حـليـم يـترك الغـث ويأخـذ السـمـين.. يرتـجـف قلبه وترتعش مشاعره ولكن تدمع عيناه ويزيد إيمانه.. أن الفرج مع الكرب وأن النصر مع الصبر..

تمت بعون الله والحمد لله؛